

دِكَايَةُ صُنْمٍ

احمد الفقي

أحمد الفقي



حكاية صنم

روافد للنشر و التوزيع

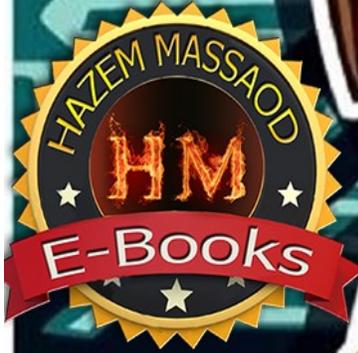


روافد
للنشر والتوزيع

دِكَايَة صَنَم

أحمد الفقي

أحمد الفقي



حكاية صنم

روافد للنشر و التوزيع





حكاية صنم IDOL STORY

غلاف خلفي

ولكن جاء الوقت الذي انكشف عنا الغطاء ورأينا زيف الحاضر وهشاشة قشرته المانعة
أبصرنا الاصنام التي صنعتها الاجيال السابقة كشفنا عنها أغطية العرف والتقليد والدين
رفعنا ما قبعت عليه الاصنام من اوهام وتخيلات موروثه خلفتنا عن ركب التحضر
وقفنا على رؤوس الاصنام وقمنا بتصفية ما أتانا من الماضي وما استقبلناه من الخارج
أوقدنا مشاعل التنوير وقبضنا على فؤوس الحرية, فأسقطنا الاصنام عن طريقنا
كتبنا تعريفات مختلفة للمفاهيم المعتادة, وقبلنا الافكار الجريئة في القضايا المرتابة
تحرر الجيل من قيود الأمس وامتك طاقة المستقبل
أرواحنا وسواعدنا الفتية عملت بلا كلل لبناء حضارتنا الجديدة
وكان حلمنا المصري كما تمنيناه, وأصبحنا أخيرا ما نريد

أحمد الفقي
2013, القاهرة

قم وأحمل معي كل فأس
ارفع بعزم يد علو الرأس
أكفر بدين الوهم وأرفض الميراث
حرر رقيق الفكر وأسجن النحاس
حطم أصنام كعبتهم.. وابن جديد الاساس

عن هذا الكتاب

انتفاضة فكرية أو حالة تشنج وليس أكثر

اهداء

الى الارواح الخالدة بين أممها لأصحاب الرسائل المجددة, الى المناضلين ضد أصنام المجتمعات
البالية, و محركي مياه الفكر الراكدة
من كارل ماركس الى كمال أتاتورك
,من المهاتما غاندي الى مارتن لوثر كينج
ومن جاليليو جاليلي الى محمد بن عبد الله

كانت نفس النظرات في عيونهم جميعا..

عين أستاذ الجامعة السبعيني وهو يرمي أمامي مبررات الرضا بالحال..

عين جاري العجوز بمقعد القطار وهو يستنكر نظراتي المستهترة بعنوان المقال الذي
ييدي اهتمامه به..

عين حارس البناية التي علقت على بابها ورقة حملة مكافحة الادمان بعد ما سلم
لإصراري على المحاولة..

عين رتبة الامن المركزي المكسورة امام هتافنا في مظاهرات يناير وهو يبلغ قياداته
بالموقف..

وامنت بالدنيا على هذا الحال,

الدنيا التي تعطي للجميع فرص متساوية على قدر الظرف والحال,

كل انسان وكل جيل حتما تأتيه الفرصة لأن يكون ما يريد,

وهذا الجيل صدق فرصته -او جزء منها بعد- صدق انه يقدر ان يغير, وانه يستطيع ان
يختلف عن من سبقوه, صدق بالمستقبل الذي يستحقه

نجح الجيل ان يتمرد على اصحاب السلطة وكسر أغلالهم, عبر على جثث الخوف فوق
(كوبري قصر النيل) و القى قيد القمع في البحر

لكن السؤال الان ؟ هل انتهت المعركة هنا ؟ هل صراع هذا الجيل هو سياسي فقط؟

ان تغير هذا الجيل قد بدأ من قبل حدوث ثورته السياسية, وان صراعه أكبر مما يبدو
في دائرة الضوء ,

هذا الجيل امام تحدي لاقتناص هذه الفرصة الزمنية النادرة ,تحدي ان يكتب بداية تاريخ
جديد له

بداية تؤمن بهدم الخبث من اصله وتكفر بالحلول المؤقتة والمتردة

النظرة التي رأيتها في عيون الاجيال السابقة تخشى مثل هذا التفكير, تخشى ان يقدر

الجيل القادم على تحقيق ما عجزت امانتهم عنه , ان يفضح نجاح القادمون من ابنائهم

قبح آرائهم وزيف منطقهم

سوف يتشبثون حتى آخر نفس يحفظوا به صورتهم بقتل احلامنا في مهدها, لن يعترفوا على فراش الموت ان حياتهم كانت هباءا ولم تكن نموذجا يتبع , سيكفرونك ان كفرت بأصنام الكعبة وامنت بربها وحده,
للأسف هي ليست معركة مع أشخاص الجيل والا قد يحسم ملك الموت المعركة بحله الناجز

لكن هي المعركة مع ذلك المنهج المورث الذي يولد له كل يوم معتنق ورسول,
وأما ان ينتصر الرسل الوثنية على الفرصة
أو يكتب لهذا الجيل نصرا مكتملا وتقلب الفرصة صفحة التاريخ.

الفهرس

8 ص	1. نبذة عن اصنام العرب.
12ص	2. حريق الجامع الكبير - الفصل الاول (4 / 1)
15ص	3. حقيقة الحقيقة.
19ص	4. الصنم ود.
22ص	5. أسطورة كؤن نفسك.
25ص	6. الشقة.
29ص	7. الصنمان: ايساف ونائلة.
31ص	8. نيش وكرانيش.
35ص	9. تحت البلاطة.
40ص	10. الصنم: آلات.
42ص	11. الفاتورة.
47ص	12. حريق الجامع الكبير - الفصل الثاني (4 / 2)
53ص	13. العيال.
57ص	14. الصنم: العزى.
59ص	15. طب وهندسة.
64ص	16. Career كاريير.
70ص	17. ملو-هدو-مو.
74ص	18. الصنم يغوث.
76ص	19. نادي التعاسة.
80ص	20. رسالة منى الاخيرة.
84ص	21. غيّر جلدك.
89ص	22. الصنم: مناة.
91 ص	23. حريق الجامع الكبير - الفصل الثالث (4 / 3)
99ص	24. الارتباط الشرعي (الزواج الاسلامي الحديث)

ص107	الققص.	.25
ص112	الغزب الكافر.	.26
ص118	اسراطين.	.27
ص128	الصنم: سواع	.28
ص130	فضيلة الشيخ.	.29
ص136	أفراح وثنية.	.30
ص141	الدنيا أطلى من الجنة.	.31
ص147	الرحلة.	.32
ص151	الصنم هبل.	.33
ص153	حريق الجامع الكبير – الفصل الاخير (4 / 4)	.34
ص158	الحلم المصري.	.35

(1)

نبذة عن أصنام العرب

"Those who cannot remember the past are condemned to repeat it"

George Santayana

"اولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم بتكراره"

جورج سانتاينا

تعريفات

الصنم : وهو ما يصنع من خشب او يصاغ من معدن كالفضة او النحاس او ينحت من الحجارة متخذاً صورة لها جسم انسان او حيوان, ويطلق عامة على ما يعبد من شيء مادي في الارض دوناً عن الهة السماء.

الوثن : قيل انه الصنم الصغير, وهو اصطلاحاً كل ما هو ذو منزلة ورفعة وكرامة من الأشياء وخاصة ذات الصفة التذكارية منها, كالبناء والنصب والأيقونات أو التماثيل، ويجتمع الناس على المودة في تعظيمه, وما يعبد منها يسمى الرجس من الاوثان ويكون الفرق بين الوثن والصنم ان الوثن كل ماله جثة معمولة من جواهر الارض أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمي تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة, ومنه اشتقت صفة "الوثنية" التي تطلق على العقائد التي تتعبد لأصنام او اوثان بشكل عام.

كيف جاءت فكرة عبادة الاصنام الى الانسانية؟

لكي تستوعب نشأة عبادة الاصنام, يجب ان تتابع تطور الحياة الدينية للبشر كما تعلمناها, فان اول الرسل كان نوح بعد عشرة قرون من ادم, ورغم ان (ادم) ارتكب في فترة نبوته جرائم منافية للشريعة الربانية - وعلى رأسها ابشع جرائم الانسانية على يد (قاييل) - فان اول رسول للبشرية كان (نوح) مرسلًا في اول أمة حلت عليها الممارسات الشركية, هذا يمكن فهمه على ان الجرائم الانسانية مقبولة الوجود والبقاء بداية من شجرة ادم , اما تفشي الشرك في أمة البشر فيكون خطر واجب الادراك برسالة منقذة وهلاك محتم لمعارضيه.

يمكنك الان ان تتخيل ان البشرية -قبل نوح- بدأت وتكاثرت فيها اشكال التعدي على النفس وعلى الاخرين بأنواع المفاصد والمعاصي المختلفة منذ ان اغوى الشيطان ادم, ومع تفشي المفاصد كانت نزعة بني ادم الى خلق منفذ أوسع لأهوائهم وفرصة لطغاتهم ان يبسطوا ايديهم على المجتمعات البشرية ويسيطروا عليها بتعاليم وقوانين بالتأكيد ستتعارض مع شريعة السماء التي نزل بها ادم, والتي يجب التخلص منها واستبدالها.

مسببات عبادة الاصنام:

اذا اتفقنا على الدافع الذي حرض الانسان على التفكير في(الصنم) كحل يرضي رغباته فمثل هذا الحل لم يكن ليأتي دون مسببات تسهل طريق الوصول اليه, وهنا اختلفت الروايات حول نشأة فكرة عبادة الاصنام والاثان باختلاف حكاية كل صنم او وثن عبد من دون الله. هناك من رأى الشرك الوثني يأتي من مدخل الاشرار في الالهية والذي ظهرت اشكال له في هيئة عبادة الشمس والنجوم والكواكب كقوى ظاهرة مشاهدة للإنسان تمده بالخير والنفع المباشر ولا يحيط بها علماً, فكانت قوتها سبباً لعبادتها.

وهناك رأي آخر فسر منشأ اغلب اصنام العرب بانه يأتي من طريقة الالتباس التاريخي المتراكم بين الاجيال, حيث تتحول ذكرى احد الصالحين في هيئة تمثال او صورة تخلد ذكراه مع الوقت الى وثن يشرك في عبادة الله.

وكذلك ارجع اخرون انتشار كثير من الاصنام لمسببات مباشرة جدا, مثل نزاع قبائلي على مكانة اجتماعية كما في قصة (العزى) او هو أمر اتى به احد رؤساء القبائل كما في قصة (هبل). ورغم صحة مثل هذه الروايات في شرح المسببات الظاهرية التي ادت الى انتشار عبادة الاصنام والاوثنان في معظم الحالات المؤرخة, الا ان النفع الحقيقي الذي يمكننا ان نصل اليه من دراسة مثل هذه الاحداث هو محاولة فهم ما وراء تلك المسببات.

انا لا أرى ان الانسان العاقل بكامل وعيه ونضجه الفكري يقبل فكرة عبادة صنم لا يضر ولا ينفع عن ايمان عقائدي حقيقي, انما هو المجتمع يريد التملص من شريعة الخالق المتحررة التي تحمله المسؤولية في هذه الحياة عن نفسه وعن الناس من حوله, فهو يريد ان يهرب من مسؤوليات الحرية وتكاليفها, فيطلب اله غير الذي في السماء, يتخذ الهه يسهل التعامل معها لا تجيب ان تسألها ولا تردع ان عصيتها, يمكن ان تحمل على لسانها ما اشتتهت روحك من قيود العيش الحيواني متسترا خلف غطاء ديني وستر اجتماعي مريح.

يحمل كبراء القوم وعليتهم على عاتقهم مسؤولية ارساء الوثنية والكفر باله التوحيد, فيزرعون في مجتمعاتهم مدعومين بالوعز الشيطاني ما اقتدروا من الوسائل والمسببات, ليعلو ويعظم شأن صنمهم الذي سوف يملوا من خلاله على قومهم والاجيال القادمة تعاليمهم الخاصة ويرسوا به عادات هذا المجتمع وتقاليد المتوارثة. ويحيطون كل ذلك بستار حديدي في صورة الههم الذي ملكوا وحدهم مفاتيح احكامه.

واذا نظرت الى حال عرب الجاهلية مقارنة بالأمم من حولهم ستجد ان تخلفهم الحضاري عن غيرهم من الامم -التي اعتنقت ديانات سماوية- ارتبط ارتباطا وثيقا بتفشي الوثنية وعبادة الاصنام بينهم, فرغم ضعف عقيدة عبادة الاصنام امام المسيحية واليهودية, الا ان غالبية قبائل العرب رضوا بعيشهم الوثني على ما الفوا عليه ابائهم من تخلف حضاري وعبادة مشكوك فيها.

وتنشأ اجيال بعد اجيال يرضى التيار الغالب فيها على هذا الحال, بما حوى من مناهج الحياة التي رسمها السابقون, مستسلمين لقيود الرق الفكري والاجتماعي التي اخرت تحضرهم وكدرت عيشهم و مسلمين ارادتهم للواقع الذي اقرته التقاليد الموروثة وثبته الكهنة وصناع الاصنام بأرضهم, وهكذا كانت بداية العقائد الوثنية.

(2)

حريق الجامع الكبير

قصة فوق البيعة

الفصل الأول (1 / 4)

كانت الليلة الثالثة له في الحبس , لم يطرق عليه الباب احدا منهم, تركوه بلا طعام و شراب في الغرفة التي وضعوه فيها واحكموا غلق بابها عليه, فلا يسمح بمخلوق ما ان يقترب من الغرفة ولا يسمح لصوته وما يحمله من افكار ان يمر من جدرانها , فلم يأتيه من الخارج غير رائحة الدخان

الكثيف التي تتزايد كل ليلة عن الليلة السابقة لتؤكد مخاوفه وكذلك كلمات (سارة) التي تأتيه من فتحة في حائط الغرفة تطمنه ان هناك من لا يزال يصدقه.

كان مستلقيا كالعادة غارقا في افكاره ونظراته التي تعانق أنوار القمر البادية في سماء فتحة سقف الغرفة, ولم تكن افكاره تأتي بجديد الا تأكيد على انه هو من لديه الحق وانه لم يرتكب جريمة وصوت عقله لا يقول له الا "اثبت!", حينها اقترب صوت ما من باب الغرفة, صوت الخطوات الرتيبة التي تنبهه ان هناك شيئا مختلفا سيحدث هذه الليلة, انفتح باب الغرفة بقوة ودخل رجلان غليظي الهيئة وامسك كل منهما بذراع يجر به بدنه الذي لم تنكسر هامته ولا روحه رغم ضعف حيلته.

بدت البلدة مختلفة كثيرا عما تركها, من بعيد كان مشهد الجرن* الكبير يفسر له سبب هذا الدخان الكثيف ومن أمامه يظهر (الجامع الكبير) وحشود أهل البلد في انتظار امام بابه, مجتمعين على غير عاداتهم, لم يكن بحاجة ان يسأل الى اين يفتادونه, أمامه بدأ يتجمع الناس في صفين يمر هو من خلالهما, جميعهم وقفوا يتطلعون الى ذلك الشاب الذي تحدثت عنه وعن جريمته جميع وسائل الاعلام في البلد, كان الجميع متشوق لرؤية ذلك الشاب المعروف باسم (ابراهيم اليتيم).

*الجرن: مبنى ضخم بلا طوابق من الطوب الاحمر يتم تخزين فيه محصول القمح في القرى الزراعية.

هو نفس الشاب الصغير الذي جاء الى بلدتهم من ثلاثة أعوام فقط, لم يكن احدا يعرفه او رآه من قبل, قيل انه كان يتعلم في الخارج, وقال (عمه) ان اخيه قد انجبه من امرأة اجنبية قبل ان يتوفى كلاهما ويتركها له ابن اخيه الذي تربى بالخارج وعاد ليعيش وسط بني عمومته. منذ يومه الاول وحتى ذاك اليوم كان (ابراهيم اليتيم) مصدرا للمشاكل التي طالما طالت (عمه) حتى طرده من بيته ليختفي عاما كاملا قبل ان يظهر متهما في الجريمة التي قلبت البلدة رأسا على عقب وأدت به الى الحبس ثم الى المحاكمة.

تذكر هو تلك الاحداث السريعة وتاريخه القصير مع البلد التي وقفت اليوم كلها امامه يمر بين نظرات أهلها الغاضبة, يجره الرجلان بعنف وهو يتطلع الى عيونهم جميعا ولا يرفع عنها نظراته الثاقبة الواثقة, يرى فيها نفس الخوف المخلوط بالخبت, الخوف الذي عرفه منذ اول يوم تحدث بينهم وبدأ يواجههم بمعاييبهم التي جعلتهم من أقبح البلاد واحقرها مكانا.

تتحول نظراته بين الاهالي الشامتين وبين اطفالهم الحائرين المجبرين اليوم على رؤية المشهد والاعتقاد بحكم الاباء عليه, يبحث بين الوجوه عن (سارة) من صدقته وامنت بافكاره, لم يرى الا وجه عمه الغضوب وهو يخترق الصفوف حتى وصل اليه, ثم اندفع بقوة في اتجاهه ينزعه من بين الرجلين ويمسك بتلابيبه ثم يرفع يده عاليا وهو يصيح فيه:

" ارجع لعقلك ! "

ثم يهوى بكفه على وجهه بصفعه تميل وجهه ولكنها لم تحن جبهته"
يتبع,

(3)

حقيقة الحقيقة

لطالما أرضت كثيرا مننا المعلومة -مجهولة المصدر- التي تقول ان الطفل المصري من أذكى اطفال العالم, فكانت وسيلة جيدة لإرضاء الذات المنكسرة بداخلنا من حاضرننا المهضوم ومستقبلنا

المكثوم, في اننا كنا يوما ما نتميز عن الشعوب التي داس علينا قطار نهضتها, وحيث اننا لا نتذكر طفولتنا جيدا وسوف نلقي بغباء ابنائنا في المستقبل على اسباب لن نعدمها, فإننا حرصنا على الابقاء على هذه المعلومة حية بوجداننا طويلا.

عن نفسي, فلقد حاولت من خلال بحث سريع ان اصل الى مرجع علمي او موثق عن نسب الذكاء بين الاطفال حتى وصلت الى تقرير TIMSS 2011 لأجد فيه ترتيب لدول العالم, واخذت في التحرك التصاعدي من السويد في المرتبة 16 مارا بدول كبرى مثل المانيا فإنجلترا فالولايات المتحدة واخذ الامل يأكلني وانا ارى كبار العالم يتساقطون قبل الخمس الاوائل, والامل ينتعش في قلبي حين وجدت الصين في المركز الثالث, وقتل الامل بالتاكيد حين وصلت الى سنغافورة في رأس القائمة التي بدت منطقية معتمدة على نظم التعليم ودرجات الاطفال في مراحل التعليم الاولى.

اصابتنى خيبة أمل اقل بالتاكيد من صفر (مونديال2010), وبجانب رغبتى في التأكيد على اصحاب مثل هذه الامنيات فان تحدي ذكاء الطفل المصري فتح لي باب للتفكير فيما هو أهم من ذلك.

اذا كنت من هواة مراقبة الاطفال او ممن اجبروا على هذه العملية يوما ما, فانك ستفهم كيف تترقى عقول الاطفال, فتجد ان الطفل في بداية احتكاكه بالعالم منكرا لكثير من حقائقه ورفضاً لوجودها, فبالنسبة اليه كل خلق الله صالح للأكل او التدنوق على الاقل وهو لا يعترف بنظريات الكهرباء الحديثة التي تحظر على الانسان ان يعمل كتوصيلة أرضية للكهرباء, وكذلك يرفض نظريات الجاذبية واستنتاجاتها التي ترشح احتمالية تعرضه للاذى اذا سقط من شرفه او من سرير مرتفع.

مع الوقت يبدأ الطفل في معرفة حقائق العالم من حوله, او دعنا نقول -بصياغة أخرى- انه يتعرف على حدوده التي يلقيه اياها مربوه. وكلما كبر كلما اتسعت دائرة الحقائق واختنقت حدود العالم حوله, ثم تتجاوز عملية التعليم مداها, ففي حين ان كان عليها فقط ان تنبهه الى نوع من الحقائق التي يجهل مداها و من الممكن ان تسبب ضررا لا يمكن اصلاحه في حياته, فاذا بالمسؤولين عن تعليم و تربية الطفل يبذلون في التعدي على عالمه, فيصبون في ذهنه قصرا كما اكبر من المعلومات والآراء والمبادئ في قوالب الحقيقة اكثر من احتياجه واكثر مما تفضيه امانة النقل. وعلى هذا الحال ينشأ المجتمع ومعه ماكينه نسخ لمنهج ثقيل من الحقائق المتوارثة, يكبر بها الطفل ويشب عليها الرجل, و وفقا لما غلب على المجتمع من افكار ومعتقدات تعكس الحالة الحضارية له فان الحقائق التي يتشربها ابناءه تكون على نفس الشاكلة.

واذا كان هناك خطورة من ترسخ كثير من المفاهيم المغلوطة والمعكوسة في عقليات الاجيال الناشئة بحقبة التخلف الحضاري الحالية نتيجة تسرب كثير من المعلومات على صورة حقائق من مصادر في الاغلب تبالغ او تفرط في الوصف, فان الخطورة الاكبر هنا حقا في نمو حجم الحقائق في عقليات ابناء المجتمع, وشيوع طرق تفكير ترى ان العناصر التي تتكون منها المواضيع التي يناقشونها اغلبها عبارة عن حقائق وما لم يكن منها كذلك فانه سوف ينقلب الى حقائق مع اول رأي من شخصية قوية او من مستند على خلفية ايدولوجية.

في عام 1616 كان جاليليو جاليلي على موعد مع مواجهة مع احد الحقائق التي تعلقت بإحدى الثوابت الكونية والدينية, ويعتبر صراعه مع الكنيسة الكاثوليكية من اعظم الصراعات مع منظومة

ترسخ تعميم الحقائق حتى مع تراجع وضعفه في النهاية, وان كان صراع جاليليو عن موضوع فلكي مثل مركزية الكون يعد كصراع بين العلم ورجال الدين, الا ان المفهوم الاوسع فيه انه صراع مع قدرة الانسان على توسيع مداركه ورؤية الدنيا بمفهوم اوسع يتبنى الشك.

لا يوجد اختراع في الدنيا الا وبني على شك ما, شك لا يهدم كل القواعد ولكن ينحي بعضها جانبا بشكل جدي ليحاول ان يصل الى فهم اعمق, بداية من زرع الارض والشك في قدرة الانسان على المشاركة في عملية الخلق, وحتى عمليات الهندسة الوراثية والاستنساخ, ولكن لا يقتصر الحديث على كسر قوالب الحقائق واعمال العقل ومبادئ التجربة والاختبار على العمليات العلمية فقط انما يتوجب ان تحمل هذه النظريات الى جوانب الحياة الاجتماعية ايضا.

فكما وجب على مبتكر الكسور العشرية ان يشك في منطق ان هناك رقم بين الواحد والصفير, وكما شك ابن فرناس في ان الانسان مخلوق لا يطير, كذلك هو الحال في كل من ابدع في مجال انساني, وفي كل من امتلك السعادة في عيشه بعد ما شك في كثير من الحقائق السلبية التي احاطته, وكذلك كان كل اصحاب الرسائل الانسانية حين دعوا الى الشك في مناهج السابقين رغم عموم الظن في صحتها. ان تتحول الى انسان مرن قادر على الاضافة في العالم هو ان تقدر على الدخول في نقاش ما وانت على استعداد ان تقبل ان $1 + 1$ قد لا يساوي 2, ان تقبل -لا بشكل عبثي بل بواقعية- ان تنبش في الثوابت وتقبل ان تناقش اشياء قد اعتبرتها مسلمات بديهية.

لا توجد فرصة لمجتمع ان يتقدم الا باكتشاف انه متأخر, هذا اول الخيط, وهذه اول حقيقة يجب ان تكسر, ليس كل شيء على ما يرام, ان يدرك المواطن ان هناك شيئا خاطئا, وان حل المشاكل السياسية او المالية او هيكلية دولة القانون ليس كافيا وحده. الخطوة الحضارية في ادراك وجود مشاكل في التكوين الاجتماعي للبلاد ومنظومة العادات والتقاليد, وهذا يجب ان يدار من خلال دعم موجات من الشك في الكثير من التفاصيل التي اعتادت عليها حياتنا, لا يهم كم حجر سيقرب وأي مبدأ سيفتتح, المجددون يجب ان يتحملوا تكلفة نبش ثوابت المجتمع لا بهدف اسقاطها ولكن تنقيتها, ليزول الخبث ويبقى ما ينفع الناس ثابتا وان توالى عليه موجات الشك.

نعم, الطفل المصري ليس اذكى طفل في العالم, ولن يكون كذلك طالما لم يستطع الشباب المصري ان يتمرد على حقائق طفولته الماضية, ويزيح عن ذهنه الثوابت التي تساهم فعلا في تأخره عن نظرائه من المجتمعات المتحضرة, وقتها سيكون هناك أمل ان تنشأ منظومة تربوية وتعليم أمينة وذات كفاءة تحمي الفكر الناشئ وتحرره وتعطي الطفل المصري فرصة للترقي بنفسه وبأتمته.

(4)

الصنم: ودّ

(631 م, بعد غزوة تبوك)

هو نموذج للهروب الانساني من حرية عبادة الله.
تبدأ الحكاية برجل صالح مات بين قوم كان اغلبهم غير صالح حزنوا كثيرا على فراقه, ولكن كان حزنهم الظاهر عليه اثرا من هياج نفوسهم الخبيثة نحو التخلص من شرائع الخالق الفطرية ومحاولة استبدالها بمعتقدات ضالة, فكان موت الرجل الاصلح فيهم هو البداية.
ولا عجب ان صناع الصنم انفسهم بالغوا في تعظيم ذلك الرجل الموحد والاكثر من زيارة قبره, فكانوا هم اول من لبسوا ثياب الكهنة, فهم المتباكين على الرجل الصالح, هم ورثة الرجل الصالح بعلو صوت نحيبهم عليهم, وكلما بالغوا في الحزن عليه كانوا هم الاكثر تشييعا له - اذكرتك بشيء هنا؟! - ليجد عموم الناس بعد مضي وقت قصير به الكثير من النسيان ان من يتحدث عن الايمان ويحمل درع الدين, هم هؤلاء المتباكون.

الخطوة الثانية, كانت في طمس افكار الرجل واعادة توجيه الفكر عن تعاليمه المستندة على شريعة الله, فيبدئوا في توجيه افكار الناس الى صورته وليس جوهر رسالته, فيصوروا له صورة ويضعوها في "نادي القبيلة", نعم, هو الامعان في الرمزية, الاكثر من الصور والمؤثرات الصوتية والضوئية المبهرة - هل ذكرتك بشيء اخر هنا؟! - حتى يفتن الناس بصورة الرجل ويتناسون رسالته التي اصبح ملاك الحق الحصري للتحدث بها هم وحدهم الكهنة, صناع الصنم انفسهم.

وتمضي سنوات اكثر والتمادي في التعظيم والتصوير والابهار يزداد لتصبح هناك جلسات ذكر خاصة بهذا ال"ود" تشابه جلسات التعبد الاصلية - متى اكف عن تذكيرك بأشياء! - وتصاغ ادعية خاصة يتم ذكر اسمه فيها مع اسم "الله" او بدون اسم "الله" نهائيا.

وها هي الارضية قد مهدت بالفعل للخطوة الاخيرة, وهي حفظ الصورة في هيئة "صنم" مصنوع من مادة اطول عمرا, ثم نسخ هذا الصنم في بيوت الناس, الا ان جاءت اجيال بعد اجيال اعتادت وجود "الصنم" في بيتها وتطور ذكر "الرجل الصالح" لان يكون عبادة ال"ود".

بهذا الشكل تكون المجتمع الوثني, حيث الكهنة الفسدة اصحاب المظهر الديني هم اهل القداسة الخاصة وهم ذوي لحوم مرّة لمن يفكر في مسها, حيث الصنم واجب الوجود في كل بيت, وزيارة معبد الصنم ضرورة لإتمام اي زواج, وتعاليم الكهنة المنقولة عن "ود" هي التي تفصل في امور الدنيا والدين, وتمتزج في المجتمع القواعد الدينية مع التقاليد الاجتماعية, وتصبح اكثر صناعة وتجارة رواج بين الناس هي صناعة الاصنام, واي قادم بفكرة جديدة سوف يفصل "الكهنة" له لعنة من تعاليم "ود" المصنوعة تأتي عليه وعلى فكرته.

لا اعلم لماذا اشعر انني دائما اذكرك في هذا المقال بشيء ما !

(5)

أسطورة كوّن نفسك

حين تبدأ ان تشم نفسك في الحياة
حين تبدأ ان تلقى عليك الدنيا تفاحها و "خيارها" من فرص و تحديات
حين يلعب "القرش" في يدك ويجري الوقت من يدك الأخرى
حين تهتز الأرض تحتك من ثقنك ان ما عليها "قدك"

حين تشرق شمس الاحلام , وتطير ب"حبابي" عينيك طيور الأمل
تطل عليك الاسطورة الازلية قائلة ..كۆن نفسك!
بيدئون في الحديث عن المال الذي يجب ان يدخر,
و الصحة التي يجب ان تحفظ ,
والشباب الذي يجب ان "تخلله" من اجل الغد
يكدرون طعم تفاحك بمر "خيار" الدنيا و مصائبها التي يجب ان تستعد لها
يغربون بشموس الاحلام في محيط ضاع فيه قبلك اصحاب المحاولات المتطلعة
ويصطادون العشرات من طيور أمالك, في سبيل عسافير الشقة و السيارة و الشبكة و (الكاربير)
الموعودة
انها أسطورة كۆن نفسك !
التي ستطاردك وتنكد عليك شبابك وفرحة أمالك
عندما يتحول الوهم من اثم مرفوض , الى فضيلة مفروضة
يرونك تطارد واقعا, فيحترقون غيظا ان تعطي ظهرك لمعركة حياتهم الوهمية وتمضي
سوف يسفه امامك كل شيء الا الوهم
سوف ينسف كل شيء الا الكفاح من اجل مصير الاولين
فانت عليك الاتباع
وعليك ان تنفق مالك في نفس البئر الذي اغدقت واغرقت فيه اعمار اجيال سبقتك
لم يكن ليكتب لك انت مستقبلا خيرا من ماضيهم
سيقولون: امش واحفظ خطواتك بين الحدود
واما ان تكفر بالموروث, او تقبل ان تكون نسخة...فتكون.

(6)

الشقة

"قوم نحرق ها المدينة ونعمر واحدة أشرف"

مشروع ليلي

شقى عمري....طوب

ماما: نفسي تبقى زي ابن خالتك محمد

حيلة ماما: اشمعنى يا حاجة ؟

ماما: شاطر و مفتاح, سافر واشتغل وثبت رجله في شغلانه وماسك فيها , كۆن نفسه, وجاب

شقه من عرقه, وابوه مساعدوش في قرش, اهي هي ديه العيال اللي تفرح

حيلة ماما: هو عمل ايه بقى؟

ماما: جاب شقة 300 متر في انصف حطة ف...

اذن, فقدوتي ذلك, قد افنى شبابه وقضى أهم اوقات حياته واستهلك يده وقدمه الشابة كي "يمسك"

و"يثبت" في وظيفة تضمن له امتلاء (حصالة) بعد سنوات "نملت" فيه يديه وقدمه و سنوات من

شقى افضل اوقات العمر, سوف يفرغها في طوب.

لا لن يفرغها في سفر وتعلم, او في انفاق ايجابي يحدث فارق, لم يفرغها على تجارب مشروعاته الخاصة, ولم يستخدمها لقضاء أوقات عطلة ممتعة.

اخذ يبني في جدران "بيته" الموعود بحجارة عمره, هذه (طوبة خروجة البلاي ستاشن) التي لم يحضرها من اجل الاستيقاظ مبكرا ليوم عمل ما, و هذه (طوبة الحب) الذي جاء في غير مواعده قبل اكتمال بنيان بيته , وهناك (طوبة التطوع) الذي سوف يضيع وقتا قد يدر عليه بعض (مونة) البناء الباقية, و ضع عليهم (طوبة السفر) ثم (طوبة الابتكار في العمل) واختم البناء بطوبة (سوف اصنع كل ذلك عندما يحين الوقت).

هكذا انفق شقى عمره ,في طوب

الصراع الازلي

أجيال تتلوها أجيال – و لا القضية الفلسطينية – تتوارث هذا الصراع, من اجل شقة, لا يمكن ان يستبعد البعد السياسي ابدأ العامل على تضخيم هذا الصراع, تضيق الخناق على دولة تضيق بأهلها كل يوم ويتكاثرون على خيراتها المحدودة, فينشأ المجتمع بكل طبقاته وهو لا يعرف مصرفا او هدفا واحدا لمدخراته- او سرقاته- غير السكن الذي يجب ان يحتل قمة اولوياته, تمتلكه فتمتلك الانتصار على الحياة والمجتمع.

وعلى قدر وضعك الاجتماعي ستجد صراع على شقة ما مناسب لك, سيختلف اجمالا عن غيرك ولكن في النهاية يحمل نفس علامات السجن الذي سوف يحبسكم سواسية, طالما مازالت تقبع تحت اثر الاسطورة.

في اوروبا والدول المتقدمة

الانسان لا يجب عليه ان يمتلك منزلا, الانسان يكون راتبه كافيا ان يأكل ويشرب ويسكن ويدخر ما يمكنه ان يستمتع بالحياة. هكذا يعيش بلا اسطورة, بدون ان يفكر يوما في هم ان يكون له مسكن, تمر به العشرون عاما فالثلاثون ولا يفكر في ذلك, يصاحب ثم يتزوج ولا يفكر في ذلك الهم, لعله حين تأتي الاربعون ويتسع به راتبه يبدأ ان يفكر في امتلاك المنزل الذي يسكنه ليصبح من الاغنياء.

يعيش حرا دون هذا القيد, يتعلم ويجرب ويرتحل ويعطي في الحياة دون هموم "الحصالة" , ويعيش سعيدا وينجب اطفالا سعداء لا يطلبون منه عقد تملك قدر احتياجهم لعقل قادر على تمكينهم من الدنيا.

نعم ! , قم فامتلك شقة واثنين وعشرة, امتلك واشتر.. واغتن !, او تمتع في ملكك , لكن السؤال دائما, متى تنتظر هذه الخطوة؟ وبأي مقابل ستحصل عليها؟ ادفع ما تقبله نفسك حين يأتي الوقت, لكن ارجوك لا تشري بشبابك ثمنا قليلا.

(7)

الصنمان: ايساف ونائلة

(20 رمضان 630 م, فتح مكة)

القصة الاكثر شهرة لهما في الجاهلية, انهما صنمان لرجل وامرأة ارتكبا الزنا في حرم الكعبة فسخطهما الله حجرين, وهناك رأي يقول انهم تم استيرادهما من الشام, وكانا على هيئة رجل وامرأة مجتمعين فاخذ الناس يبتكرون عليهما هذه القصص.

وان لم يكن العجب في كيفية حدوث فعلتهما او كيفية سخطهما الى حجرين او حتى حركة الاحتراف الخارجي النشطة في تبادل الاصنام بين الشام ومكة, فالعجب كل العجب في هؤلاء القوم الذين ظلوا يتعبدون لهذه الاصنام رغم رأيهم فيها وفي نشأتها و قبح القصص التي ابتدعوها عنها.

او لعلمهم كانوا يستمتعون بأن يخلط الدين والعبادة بقصص الجنس والممارسات المحرمة, ليتكرر في ذهنك كثير من المشاهد المؤلمة التي ارتبط بها رجال دين بفضائح جنسية وباستمتاع كثير من المشاهدين بتناول رجال الدين لقضاياهم باستخدام مفرط للإيحاءات الجنسية والتعبيرات السوقية. قد استمرت عبادة (ايساف ونائلة) و وجودهما حتى بعد ظهور الاسلام الى ان جاء فتح مكة, هكذا رضي أهل مكة باستمرار هذا الضلال بينهم فقط لانهم لم يسمحوا لأنفسهم بالإنكار العلني على ابائهم, ذلك على ان يرث ابائهم من بعدهم "خلق" احترام الاباء بالسير على خطاهم وخطاياهم ان لزم الأمر.

(8)

نيش وكرانيش

"الحكاية مش حكاية البيت ياعم مجاهد .. المشكلة, مشكلة الناس اللي عايشة... ولازم تعيش" داود عبد السيد- فيلم (الكيت كات) 1991

"سيأتي عليك يوما ما وتجلس هذه الجلسة مثلي ايها التعيس", قالها صديقي المتزوج حديثا بشكل غير واعي وهو لا يزال غارقا في نظرة من نوعية (ذات معنى) وعينه تائهة بين صفوف الصحون والملاعق الناصعة خلف الباب الزجاجي الذي يعكس وجهه البائس قبل ان تفرعه طرقات متوترة تأتي من المطبخ. وحين عاد محملا بالمشروبات, كان على وشك الانهيار التام وانسكبت منه الاعترافات كاملة.

نحن قوما نعشق الكرانيش, هذا واقع لا أنكره, نحن الذين افتقدنا لمحة الجمال في كثير من الأشياء التي اغتصب رونقها فقر وقهر سنوات الظلام, نحن الذين نعشق الكرانيش, بعد ان انتزعت من جوهرا قيم رقي الانسان, اصبحت الكرانيش تمثل الدور الاكبر في (المسلسل) الاجتماعي الذي نمثل فيه جميعا بطيب خاطر او بدون, عشقنا تلك التفاصيل التي سوف تضيف معنى على السراب الذي نملكه, انه ليس ذنب الستائر التي تؤدي دورها الانساني في حجب النور والاتربة, انه ذنب المجتمع الممثل في حماة صديقي المسكين وهي ترغمه منذ عام على شراء كل ستائر البيت مرة أخرى حين اكتشفت خلوها من الكرانيش.

ملعونة "الكرانيش" في الارض والسماء, ملعون لون باب الشقة الذي سوف يعلق عليه الزوار, وملعون الحد الأدنى من (الفايزات) بصالات استقبال بيوت الناس المحترمين, ملعون غطاء السرير الذي سيفرش عندما تكون هناك فرصة ان يلمحه الغرباء من باب غرفة النوم المفتوحة.

هذا مرض ولا تقنعني ان الفكرة في ان الانسان يحب ان يبدو جميلا, ان كان هذا حب فهو حب مرضي بلا شك, صدقني المرض متفشي على صعيد اكثر عمقا, ستجده في تجهيزات الاجتماعات الشكلية التي لا تحل مشكلة الشركة وفي النبرة الخليجية المخنوقة لصلاة تراويح لم تعفل, ستجده في المصطلحات الانجليزية الركيكة حينما تحدثك الفتاة معدومة الثقة, وفي نغمة

رنين الهاتف التي لا تتناسب تماما مع الهوى الموسيقى المحتمل لعامل البوفيه. الجميع يبحث عن تفصيله تلمعه في وجوه الناظرين و قد تنجح في اخفاء فراغ الباطن و سونه.

اتذكر ذلك اليوم في بيت صديقي منذ عامين, لم اكن اتصور ان اعيش مثل هذه الليلة ابدأ, الساعة تقارب الرابعة فجرا و بعد ساعات قليلة سوف تشرق شمس اليوم الذي ستتزوج فيه الجثة الادمية الغارقة في عرقها بجواري, نرصد بعناية الجراحين صفوف الاطباق و الملاعق بهذا الوحش الذي طاردناه طوال خمس ساعات من العمل الشاق المسمى في لغة الانسان المصري "النيش".

بينما كان الاصل اللغوي للكلمة فرنسي, الا ان الثقافة المصرية احتوت المعنى ثم وضعت بصمتها ليخرج اختراع لا تكاد تجد له مناظر بمثل هذا التميز في التكوين الذي جمع عدم الجدوى مع ارتفاع التكلفة. هذا وان كانت (الكرانيش) قد كشفت سلوك التباهي الفارغ, فان (النيش) يفضح النموذج المصري لبناء الشقة.

تعتبر نمذجة العمليات الانتاجية من مؤشرات التطور الصناعي, فهو الوسيلة التي تستخدمها جميع الكيانات المنتجة المختلفة من اجل تفادي الاخطاء المكررة وتوفير الوقت والجهود وزيادة معدلات التماثل في المنتجات, هذا وان صلح في المنتجات المادية, فانه يعد كارثة على مستوى الانتاجات المعنوية او الفكرية, التي يعد اصل التطور فيها هو كسر النماذج والبحث عن فرص لإضافة جديد واختراع ما هو مختلف.

بناء على ذلك, فان تكرار نماذج تشييد البنائيات كمثل يحمل شيئا من مبادئ التقدم, ولكن المشكلة في ان تكون عملية التصميم نفسها تخضع لنموذج ثابت. للحفاظ على الرقي الانساني وتحسين الخطأ البشري فيجب ان تقدم لعمليات التصميم اكثر فرص ممكنة للتغيير, بينما نحن نتوارث جيلا بعد جيل نفس النموذج لمحتويات البيت, وان اختلفت الالوان والانواع الى انها لا تحيد عن التصميم النموذجي بعينه الفاضح (النيش) الذي يتكرر في بيوتنا جيل بعد جيل, طبقة فوق طبقة, يمر الزمن وتختلف طبقات المجتمع ويبقى ذلك الموروث لا يتغير مع الرفض.

غالبا ما تنتهي مواجهة عقيدة (النيش) في صراعات (العفش) المصري لمن وعى اليها الى الاستسلام, فأما استسلام ايجابي ناتج عن قلة الحيلة وقصر اليد التي ان طالت فلن تحيد عن ذلك الموروث, واما استسلام الرجل المقاوم اما بحجة خاطر الذي لا يجب ان يكسر او ارضاء أهل الزوجة, ولا غريب في ذلك فهكذا هو الحال مع جميع الموروثات المجتمعية بداية من القاء القمامة بالطريق دون وجع ضمير وحتى تقديم الرشوة, الجميع يجد الاستسلام و الانحناء امام الموجات أنفع وأسلم.

أخذ صديقي الذي كان يمر بضائقة مادية يحكي لي عن احساسه بالقهر وهو في متعثر في سداد ديون زواجه وشعوره بالرغبة العارمة في الجلوس خارج منزله الذي تذكره ستائره بكرانيشها و سجاده بتناسق الوانه مع الحائط و ابواب ثلاثته ولمعان الصحون في (النيش) بضغفه وانكسار ارادته امام طواغيت بناء البيت المصري.

(9)

تحت البلاطة

من لم يفهم مصطلح "تحت البلاطة" فلم يعيش في المجتمع المصري حقا, او على الاقل لم يشاهد فيلم (ابراهيم الأبيض)

ينشأ هذا المصطلح ويتكرر في المناطق الشعبية والازمنة ما قبل شيوع التعامل البنكي بين المواطنين المطحونين وكذلك في المناطق التي لا يتمتع سكانها بخدمات ماكينات الصرف الالي مثل (الابجية) موطن بطل الفيلم المذكور اعلاه.

لكن المفهوم الذي نحن بصددده هنا, يتحدث عن المعنى الاشمل الذي يفسر نزعة المواطنين -المطحون منهم والطاحن- الى ان يكون لديهم (بلاطة) يرتكنون اليها وقت الحاجة سواء كانت البلاطة رمزا لحساب بنكي ثقيل او هي قطعة "بلاط" فعليه بغرفة بانسة او حتى قطعة قماش تلتف فيها اوراق نقدية تحت مخدة مواطن اكثر بأسا.

هو موروث نفسي مقيت سوف يبدأ دعائه في الهجوم عليك مع اول (قرش) يدخل جيبيك, سوف تسترجع كل الصور الذهنية والمحفوظات السمعية من عقائد الاجيال البالية, تتذكر قطعة الارض الزراعية التي يحتفظ بها ابوك الذي لم تطأ رجليه شيء اخضر من عشرات السنين من اجل يوم (زنفة), و تتذكر العشر (بواكي) في حساب بنك اخوك الذي لم يغير هاتفه منذ 5 سنوات, و طاقم الصيني الذي يقبع تحت سريرك منذ 3 سنوات ينتظر زواج اختك طالبة الثانوي. تهاجمك كل هذه الذكريات مع كلمات (أمك) ذات اللحن العطوف, وهي تسحب نصف مرتبك من يدك "هات ادخلك بيهم جمعية" لا تعرف بالضبط أي هدف تلبيه تلك الجمعية لكنك توقن وقتها انها لن تكون اخر جمعية.

ان تم اصطيادك لهذه الدائرة فلا فكاك ان, سوف تقوم دورة المال في حياتك على هذا المبدأ وحده ما حبيت, سوف يكون هناك دائما خطر غامض في المستقبل ينتظرك مكشرا انيابه لكي يلتهمك انت واموالك, ويجب ان تعمل حساب ذلك الوحش وتجهز من عزيز مالك ما يكفيه ويفيض من قرابين وذلك لان "محدث عارف بكره فيه ايه", تلك العبارة الجهنمية التي رغم تتضمن في نفس الوقت على معنى معاكس, الا انهم تستخدم في اقدر عملية ابتزاز انسانية تجعلك تستغني عن كثير من متعك الوقتية وتفقد "عصافير" حياتك من اجل ان تشتري "الشجرة" نفسها التي قد لا يهبط عليها في ذلك المستقبل الموعد عصفور واحد.

هذا الصنم الفكري حتما سيؤثر على جميع قراراتك المصيرية ولعلك سوف تنفق انفس اوقات حياتك متعبدا لذلك الصنم, حدثني عن المهاجرين الى الخليج لتأمين مستقبلهم ومستقبل الاجهزة المنزلية لبيوت اولادهم ! , حدثني عن المنحنيات المهنية التي رفضتها لخوفك من فرص الامان بها ! حدثني عن المتصارعين من اجل وظيفة حكومية آمنة! , انه مرض منقشي يضرب في جذور هذا المجتمع, واغلب قيم العمل المهني المصري قد بنيت على الامان وحده دون اعتبار يذكر للطموح والكفاءة.

شاهدت ذلك المشهد في كثير من افلام الكرتون (الاجنبية), لطفل يحطم حصالة ليشترى بها لعبة مفضلة له, نعم انه يحطمها, وهذا هو الفارق الجوهرى في الموروث النفسى, التحطيم ! , الفارق بين النزعة الى تحصيل الاموال للحصول على "امان" ما متوهم منها, وبين السلوك الانساني السوي برفض مبدأ التحصيل التأميني واستبداله بمبدأ التجميع من أجل غاية, غاية ستتخطم معها عملية تجميع المال بشكل كامل ونهائي بلا فرصة لتكرار العملية الا من خلال هدف اخر جديد, غاية لا يمكن وصفها بانها احترازية او محتملة, ولكنها اما غاية مدروسة يحدد بها وقت بعينه لتحطيم حصالتها, او هي غاية لحظية -حتى لو بسيطة وسطيحة - ولكنها ستحقق سعادة وقتية لا تغلو عليها حصيلة الحصالة ولا تؤخر من اجل اهداف آجلة ما.

وهناك شواهد من تاريخ رموز أمتنا تأصل لهذا السلوك في التعامل مع المدخرات, وعلى رأسها ابو بكر الصديق الذي تبرع بكل ماله في غزوة تبوك, وكذلك كان كثير من مهاجري مكة, الذين ضربوا بعقائد التأمين الزائفة عرض الحائط, ومع ذلك لم يعرف عنهم انهم ماتوا جوعا او شحذ ابنائهم من بعدهم.

اقرأ هذه الكلمات من كتاب الامام محمد الغزالي (الاسلام ومناهج الاشتراكية)
"وفقدان الأنظمة الدينية والخلقية أو بعبارة أصرح: فقدان الأنظمة التعاونية والاشتراكية التي تضع منهاجا شاملا لعلاج الطوارئ الفاجعة و التي تمد رواق التأمين الاجتماعي على حاضر الناس ومستقبلهم فلا يتوجسون في أنفسهم ريبة، والتي تفترض الرحمة قارة في القلوب- فإن لم تكن مستقرة بها غرستها غرسا- ثم سنت من التشريعات المالية الصحيحة، ما يجعل المجتمع كله يضطرب إذا أصبت أحد أفراده بسوء حتى يندفع عنه!! مصداقا قول الرسول صلوات الله عليه وسلامه: 'مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"

وفي هذه المقالة, اختصارا للمفهوم المطلوب طرحه, أرى ان عملية التأمين اجماليا يجب ان تلفظ نهائيا من الثقافة المالية و اقتصاد الفرد, وان كثيرا من الانظمة المجتمعية الحديثة قد دفعت بعموم شعوبها الى ذلك التفكير, حيث تتحمل الدولة نفسها الجزء الرئيسي من التأمين الاجتماعي والصحي على مواطنيها - حتى باقتطاع اجباري من رواتبهم - ولكن بتحقيق الغرض النفسي المرجو في النهاية من تخلص المواطن من اعراض القلق على مستقبله وتركيزه في الاستمتاع بحاضر ماله وممتلكاته سواء كان في الانفاق او الاستثمار المباشر, تلك العملية التي ستحقق رخاء المواطن وسيولة المعاملات المالية في الدولة في نفس الوقت.

(10)

الصنم: الات

(23 رمضان 631م)



منحوتة حجرية لصنم الات وجدت في الطائف (المصدر ويكيبيديا)

كان "صرمة بن غنم" رجلا صالحا طيبا من أهل مكة، سخر نفسه لخدمة حبيج بيت الله، سخر نفسه لعمل اجتماعي صالح فكان يملك مصنعا على صخرة صغيرة يصنع (يلت) فيه العجين (يلت العجين اي يخلطه بالسمن) ثم يقدمه الى زوار الكعبة مجانا، عرف هذا العمل في ارجاء مكة واشتهرت سمعته فكان يسمن كل من يأكل من هذا المصنع.

أعجب أهل مكة بالعمل وافتتنوا به، فلما مات الرجل، احتفظوا بموضع مصنعه مقذرا بينهم، وسميت صخرة (الات)، ثم مع فساد القوم، بدأوا يبالغون في تعظيم الحجر، حتى تحول الى اله تقربوا اليه وعبدوه من دون الله.

انشرت عبادة الات عند العرب وخاصة في الطائف حتى قامت قبيلة (ثقيف) ببناء بيت له، منافسة ل(قريش) التي تملك الكعبة وكان يحج اليه العرب ايضا.

ويذكر في قصة هدمه حالة الفرع التي اصابته سكان حرم بيت (الات) حتى بعد دخولهم في الاسلام، فلم يتحملوا مشهد ان يهاجم صنم الآلهة، رغم وقوع الايمان بينهم، ورغم انتصار رسالة الاسلام وسيادتها للجزيرة، الا انهم ظلوا في حالة فرع من التعدي على الصنم الذي نشأوا على رؤيته والخوف من التعدي على حرمة.

فعندما قدم (المغيرة بن شعبة) وهدم ثم احرق البيت, خرجت النسوة حاسرات رؤوسهن يبكين عليها, وصف احد الشعراء هذا المشهد فقال:

لا تنصروا اللات إن الله يهلكها و كيف نصرُكُمْ من ليس ينتصرُ
إن التي حُرقت بالنار واشتعلت و لم يُقاتل لدى أحجارها هدرُ

(11)

الفاطورة

مشهد ليل داخلي, غرفة مكتب يضيئها نور خافت ينير لشبح رجل منكس الرأس على اوراقه. كانت الساعة الثانية صباحا, وكانت الساعة الثالثة له بعد محاولات بائسة ان يطلب نوما لا يستجيب لنداءاته مصرا على ان يجلب على عقله قفلا وفكرا لا ينقطع منذ ان ارخى رأسه على السرير بجوار زوجته.

هو يجلس الان بين يديه اوراق صغيرة مبعثرة صفراء و حمراء عليها تواريخ متتابعة وارقام, وضع ورقته البيضاء الخالية وسطها, والنقط قلمه بيديه المرتجفة من اثر القلق والسهر وبدأ يخط هموم ليله الطويل على الورقة البائسة التي كانت بيضاء.

بدأ الكتابة بحروف الالمانى, التي اخذ يجمعها في ذاكرته داخل بند الامور المؤجلة, ازدحمت الالمانى في موضعها المؤقت الذي لم يقدر ان يصمت عن الالنين هذه الليلة واصر على ايجاد حل ما تخرج به بعض الآمال من حوزته, اما الى التحقق واما الى الرفض والنسيان.

الجهة اليمنى من الورقة, صف يعلوه صفا, كل منهم حمل شرحا سريعا لأمنية جميلة شرحها بقلم حنون تصاحبه ابتسامة فاقدة الثقة في صاحبها, هناك صفوف حوت امانى جديدة وردت على ذهنه بالأمس فقط حين شاهد اعلان فيلم سينمائي جديد لم يسمح له موعد التسوق الشهري بوقت متاح في عطلة نهاية الاسبوع, وبعض تلك الالمانى كان قديما يقدم احلامه في السفر الى شرق اسيا, وبعضها كان باهتا لدرجة انه اعتقد ان لعله قد مضى عليه نصف قرن او اكثر, لعله حلم الطفولة ذلك ان يصبح يوما كاتباً معروفاً.

نعم, لم تكف الورقة الصغيرة ان تسجل ما احتوت الذاكرة المكتظة, كان يهم ان يقرب الصفحة ليواصل بالوجه الاخر, لكن استوقفته رغبة ان يبدأ في تسجيل تلك الاوراق المتناثرة الصغيرة في الجهة اليسرى من الورقة.

فاتورة تلو الاخرى, يمسكها ويجبر عينه المهمومة على استقراء تفاصيلها, ينقل التواريخ و الارقام منها الى الورقة, بطريقته التقليدية اخذ يضيف الارقام على بعضها, وتتراكم امام عينيه مجموعات الحساب, يناضل من اجل تخفيض الاجمالي النهائي, لكن خانه منطق الرياضيات وأبى ان يحذف واحدا او صفرا من محصلته, ورغم اعادة الحساب عدة مرات, ظلت النتيجة تصر على مزيد من الاحباطات, تصرخ في وجهه معلنة ان الاجمالي اكبر من امانيك, انك مقيد بتفاصيلي, ان محصلتي لن تقدر عليها وستعلو فوق كل طموح.

لم تكن الحقيقة مرة فقط ولكنها صارخة ايضا, تدوي صيحتها في ربوع عقله وترج جدران رأسه الساقط بين كفين يحبسان الصرخة عن الانتشار في كيانه او الانفجار ليشعر بها العالم الضيق من حوله, وسقطت الرأس على الاوراق في بحر من الدموع التي لم يقدر ملحها ان يمحي ايضا واحدا

أو صفرا من اجماليات الفواتير, ولكن بدت فرصة ان يأكل ملح الدموع بعضا من صفوف الاماني.

رفع رأسه وتمالك جزعه وبعض دموعه, لجأ الى حيل التفاوض لعلها تحمل له اي مكسب ولو شرفي في حسبه المعقدة, بحث عن كل فرصة لتأخير اي تاريخ, و عن كل عذر لتخفيض اي تكاليف, قسم العبء الكبير الى عبأين او الى ثلاث لكن لم يتوقفوا عن الضغط على اعصابه حتى بعد ان تفرقا, رغم علمه ان ذلك الرقم لا يمثل الحقيقة, الا انه رضى برؤيه التوقع البالغ في التفاؤل الى حد الخداع, اخذ يدور في الجهة اليسرى بحماسة شطبا وطرحا, وبلهفة هرع الى حساب الاجمالي للمرة الاخيرة التي لم تقدم لمحاولاته الليائسة اي اضافة مفيدة, وعادت رأسه لموضعها الدافئ الخشن بين كفيه.

لم يعد يتذكر انه كان عليه ان يقلب الصفحة ليسطر ما تبقى من الاماني على الوجه الاخر, الان هو يعيد التفكير في (واقعية) صفوف الاماني, اعتصر عيناه كي ترى قبحا ما بين الاماني, وابتذ عقله ان يحقر من هذه الكلمات بطريقة ما, ونجح بسهولة ان يسحب من وجهه تلك الابتسامة المؤقتة الى مخبأها, ليبدلها تمعض مصطنع غريب, هيئ كل ظروف نفسه ان تدفع يده التي ما زالت مرتعشة ان تهجم على احد صفوف الاماني لتمحو حروفه الظاهرة ولا تقدر - كالعادة- على محو اثره في الورقة التي كانت بيضاء.

وقبل ان ينتهي القلم من مذبحه الاحلام, اخذ يمسح الدماء ويحد سكينه في (براية) صغيرة -كان لها (فاتورة) هي الاخرى في سجلات الجهة اليسرى - وهو يتهيأ للانقضاض على اخر صف من الاماني, حينها خطف عقله تلك الخواطر السريعة العاصفة,

اخذ يتذكر تلك الايام الخالية, حين كان من حق الاماني ان تعيش وان تتحقق, تذكر اول فاتورة تورط بها, تذكر تلك الرغبة الخبيثة التي تملكته ودفعته الى تلك الحماسة, تذكر كيف استغاثت به امانيه " انت لا تحتاج الى هذا", حاولت اقناعه ان لديه ما يكفيه, انه لا يحتاج ان يبدو مثلهم, عربته البسيطة كانت كافية, بذلته الوحيدة كانت كافية, تلفازه الصغير كان يجلب متعة كافية, تذكر خطه "الكارت" الذي كان يجلب على نفسه الائمة "خجلا" مستكرا, تذكر اول رحلة الغاها من اجل الدورة الضرورية لمسيرة "تكوين نفسه".

وقطع ذكرياته, نداء يأتيه من غرفته, هو صوت زوجته, او هو (سوطها) يبلغه ان عليه العودة الى مخدعه, وان يترك تلك الهموم التي اقلقت عيشه المطمئن وعطلت راحته التي يدخرها لسعي طويل غدا من اجل ان تعيش ارقاما جديدة في دفاتر (فواتيره), نهض مستجيبا لندائها, والتقطت كفه الورقة واعتصرتها لتغرق الاماني المحذوفة في بحر من الارقام والتواريخ على ورقة...اصبحت سوداء.

(12)

حريق الجامع الكبير

قصة فوق البيعة

الفصل الثاني (2 /4)

كانت الصفحة شديدة جدا, فقد ارجعته بالذاكرة عاما كاملا بالضبط حين طرده عمه من المنزل كان ذلك مساء اليوم الذي عاد فيه (ابراهيم) من (المولد) ذلك الاحتفال الذي يحدث كل عام في نفس

التوقيت ليخرج الاهالي جميعا للاحتفال ب(سيدي المندور) ذلك الولي الذي يقدر مكانته اهل البلد جميعا. هي البلد التي تسمى اليوم باسمه هي وجامعها الكبير الذي يعمل عمه اماما وأميناً له وللمقام الذي بني عليه.

علم عمه بما حدث في (المولد) واحتكاك ابن أخيه بجموع الناس واشاعته للفوضى بينهم , او كذلك ابلغته الشرطة, وهي تسلمه له, بعد ان اخذوا تعهدا منه ب(تعقيل) ابن اخيه وردّه الى صوابه والا تعرض للتفكيك والطرد.

يومها وقف (ابراهيم) ليواجه عمه الذي كان يتحرك في الغرفة بعصبية قبل ان يلتقط كتابا من وسط كتب متبعثرة على الارض امامه, ويتجه مباشرة ليقف امام ابن اخيه يلوح بالكتاب ويقول:

- انطق ما هذا !؟

لم يدر (ابراهيم) وجهه عن عمه الى الكتاب, بل ثبت عينيه في وجه عمه بتحدي

- حاول ان تقرأه ...لعلك تعرف ؟

انتفض عمه قائلاً وهو يطيح ذراعه ضاربا بالكتاب عرض حائط الغرفة

- عمك لا يقرأ هذا الكفر

للحظات وقفا في مواجهه حادة, قطعها (ابراهيم) دون رد ماضيا وخلفه عمه الذي لحقه وامسك بطرف ثوبه

- قف هنا ! انا لم انه بعد ! قل لي من اعطى لك هذه الكتب !؟ من أين جئت بها !؟

ثم اضاف صارخا في وجهه

- كيف تقف في بلد (المندور) لتوزع على أهلي هذه الكتب ! وفي عيدهم ! رد !

انتزع (ابراهيم) نفسه من يدي عمه ومضى باتجاه الكتب الملقاة وهو يقول

- هؤلاء أهلي وهذه بلدي ايضا !

ثم التقط بعضا من الكتب بين يديه وهو يواجه عمه بها

- وهذه ليست كتب كفر! هذا كتاب في الاخلاق وهذا في السياسة وذلك في الدين, انا جعلتهم

يقرأوا ويسمعوا شيئا جديدا ينفذهم وينقذهم من التخلف الذي يعيشونه, اجبني انت ما اصل الكتب

والتعاليم التي تنشرها بين الناس

حاول (عمه) ان يقبض بيديه على احد الكتب, دون ان تفلتها يد (ابراهيم)

- كتبك هذه مصيرها هو المحرقة ! تلك السخافات و الافكار الغريبة عننا ليس لها مكان في

بلد (سيدي المندور) عد بها الى بلد أمك, ان (أبناء المندور) ليسوا بحاجة لتفاهاتك لتخرب عليهم

عيشهم, لقد تربينا نحن وابنائنا على (كتب المندور) ولن تأتي اليوم لتغير ذلك كله

نجح (ابراهيم) في انتزاع كتبه و مضى ليلتقط حقيبة يجمع فيها الكتب الملقاة من على الارض

- لا ارى في كتبكم هذه الا ضلال , هؤلاء الناس لم يخرب عليهم عيشهم الا تلك الاساطير

والسخف الذي يسمعونه ليل نهار ولم يجلب لهم سعادة ولا راحة في عمل او زواج او بيت, وانا

اعطيهم فرصة لان يروا شمس الحقيقة ولو لمرة واحدة

ثم التفت الى عمه وهو يغلق حقيبته ويهم بالخروج من البيت

- وان كان كبار البلد لا يريدون ان يقرأوا هذه الكتب, فانا لن اترك صبيا ولا شابا حتى يصل

اليه هذه الكلام.

تحرك عمه مسرعا ليقف بينه وبين الباب

- ان كنت تحتمي بي وبموقعي فانت واهم, فانا اخر من سيساندك بعد الان.

- انت اكثر شخص يعلم , ان هذا الكلام لن يرجعني, وانا اعلم جيدا ما افعله, و(الشرطة) تخاف مني اكثر مما اخاف منها, فانا اعلم جيدا اخر ما يستطيعوا ان يسببوه فيه من مشاكل لي, لكنهم لا يعلمون شيئا عن نهاية الحلول التي امتلكها.

ازداد غضب عمه وانقض عليه يمسك بتلابيبه وهو يصرخ فيه:
- عد الى رشديك! لن يسمعك احد, اهل هذه البلدة مؤمنون, ولن تنفعهم افكارك الغربية

رد عليه بحزم

- وانا لن اراجع!

تزايدت حدة عمه وهو يدفعه للخلف وهو يقول

- انت تعص عمك يا (ابراهيم)!

عدل من ثيابه وهو يرد في حلم

- سأدعو لك بالهداية

وقف امامه عمه ومازال الغضب يملكه

- سوف تصيبك لعنة (سيدك المندور)

رفع (ابراهيم) نظره اليه وهو يرد بسخرية

- هو سيد من هم مثلك, اما انا فليس لي سيد

وكانت بعدها الصفحة الاولى وقتها, التي انتهت ذاك الحديث بينه وبين عمه قبل ان يطرده تماما من بيته, والان وبعد ثلاث ليال من (مولد) هذا العام, يقف عمه وقد تجهم وجهه بعد ان خلف كفه اثرا داميا على وجه ابن اخيه ليقول له:

- اليوم تعرف ان (المندور) حق ايها الكافر! , اليوم يصيبك ربنا بعذابه, انا اتبرى منك, انا لست ابن اخي وانا لست بعمك.

- لم يرد (ابراهيم) على عمه بكلمه, الا نظرته الثابتة التي هرب عمه سريعا من امامها يعدو في سخط ولعنات, استكمل الرجلان دفعه بين الصفوف , وبدأت الاعداد تتكاثر امامه , حتى وصل الى تلك الساحة الواسعة التي توسطها مسرح خشبي , صعدوا به الى سطحه واقعدوه ارضا بعد ان كبلوا يديه, وعيون أهل البلد ترمقه في ترقب ...
حتى تبدأ المحاكمة!

يتبع,

(13)

العيال

كؤن نفسك عشان ابنك يعيش احسن منك

لماذا؟

لماذا يجب علي انا ان اتحمل مسؤولية عيش أفضل من عيشي لأبنائي
ومالها عيشتي! هل عيشتي كانت سيئة للدرجة؟ هل ما الت اليه عيشتي وانا صغير كانت مأساوية

لا اعتقد ذلك . فيها انا الان في منتهى الرضاء الذاتي اقرأ واكتب هذا الكلام والحياة جميلة
اولا

المبدأ مرفوض, انه من الطبيعي ان احرص على ان ابني يعيش أفضل مني
لعله لا يستحق ذلك اصلا !

انا قد انفقت وقتا وجهدا لأبلغ ما انا فيه الان, واستحق ما انا فيه -حسنا كان ام سيئا- لأنني قد تعبت في الدنيا من
اجله
ابني او ابن اي شخص اخر, سوف يستحق فقط ما تعب من اجله, وما بذله في وقت وعيه ونضجه من اجل
نفسه

لعله سيكون افضل مني بمراحل فقياسه بي ظلم له, او لعله يصبح فاسدا او ضالا ولن يفلح , فهذه مشكلته وحده.
طالما لم اضره بتربية خاطئة او تجويع او تعريه و وفرت له الحد الادنى من المعيشة التي لا تضر بعقله وخلقه
!

لماذا أهتم ان (أكون نفسي) من اجل ان ادخله مدرسة لغات "طموح تسعيني" أو مدرسة (انترناشونال) "طموح
القرن الواحد والعشرين"

وما لها المدارس الحكومية؟ فليتعلم كما تعلم أبوه. ومنذ متى وهي العملية بالتعليم اصلا !

دع الدنيا تطحنه وتعلمه ويتعلم كما تعلم المكافحون في هذا العالم وسوف يصبح بني ادم محترم.. والله !
هذا لا يمنع بالتأكيد اني اكافح في بلادي حتى تقوم على ارجلها ويصبح بها تعليم حكومي لجميع الناس افضل
مما كان في وقتي انا, او لعلي لن أكون في هذه البلاد حين يشرف ابني الدنيا
لكن في النهاية لماذا يتحتم علي ان اقوم بفعل شيء اضافي عن الطبيعي
فليأخذ نصيبه الطبيعي من الدنيا

انا لست مضطر ان "اكون" حياتي أكوام أكوام حتى يأتي ابني المحروس فأضع له دم قلبي في مدارس أجنبية ,
كي يكون من (ولاد الناس) وليس كما كان أبوه !
من الآخر !

كل شخص يتمنى بالفطرة ان يكون ابنه احسن منه, لكن كثر خيري,

أعني, انه سيأخذ خبراتي في الحياة وسأعلمه كيف يتعلم بطريقة افضل مني وكيف يأخذ خبراته من الدنيا سوف
أكون ذلك الأب الذي تعلم في الدنيا ما سيختصر به التجارب السيئة من حياة ابنائه ويرشده الى الطرق الافضل
في الحياة

ليس ذلك كافيا ؟!

اعتقد انه كافيا كمحاولة ان اجعله افضل مني دون مزايده اجتماعية فارغة

وليعش طفولته في بيت أبيه مثل ما قضاها أبوه في بيت جده !

سوف يرتدي ثياب اخوته الكبار حين تصغر عليهم

سوف يأخذ مصروفا يوميا يكفيه ان يشتري (كيس شيبسي واحد في الفسحة) كما أخذ أبوه

ومثل أبوه لن يأخذ دروسا في الثانوية العامة - تصفيق حاد - , هذا سيكون اخره !

فليعش ابنك عيشتك وقت ما تفتح "نفسك" ان تنجب ,انت لا تحتاج ان تعمل لحضوره ترتيبات الدنيا والأخرة

لا داع لان تبيع احلامك وامانيك كي يدخل المدرسة التي تستنزف الاف الجنيهات في العام

لا داع ان تحرم نفسك من الغطاء (عشان يستغطي) ولا من الدفاء (عشان يستدفي)

خطك واحلامك المستقبلية لا يجب ان توقفها تلك النزعة الاجتماعية الشاذة في ان تتباهى بأبنك ومدرسته

وثيابه والنادي الذي يتدرب فيه والهاتف المحمول الذي لا يحمله اقرانه من ابناء الاخرين !

اهتم اكثر ان تكون ذلك الاب الذي جرب وتعلم وحقق شيء لنفسه اولا وترك بصمة في العالم حتى لو توفيت

وابنك لا يزال رضيع حين يكبر سوف تكون بصمتك في الدنيا أهم عنده كثيرا من كنوز الدنيا التي تركها

الاخرون لأبنائهم.

(14)

الصنم: العزى
(25 رمضان 630م)

لم تختلف بداية عبادة العزى كثيرا عن ما سبقها من اصنام, فكانت روايات نشأتها تذكر رجل يسمى (ظالما بن أسعد) غار من (قريش) وكعبتهم, فرجع الى قومه يحرضهم على منافسة (قريش) ببناء بيت لألهة اخرى تعبد.

وصفت (العزى) بانها انثى, وكانت (قريش) تصحبها معها في الحروب, وتلقبها بملكة السماء التي تعز من عبدها وتنصره, وعند اصابت امرأة (رومية) من قريش بالعمى بعد ما اسلمت اشاعوا في الناس ان (العزى) قد اصابتها.

وهذا الاستخدام السياسي والاجتماعي لها لم يفصل عن اقحامها في الاستغلال المادي, فكان هناك وظيفة لرجل يسمى (السادن) فكان يأتي اليه الناس الذين تملكهم شك او ريبة بأمر من امور دنياهم, فيأتون بالقرابين يقدمونها الى (السادن) الذي يدخل ليعرضها على الصنم, ثم يدخل عليه صاحب الشكوى الذي يجد (العزى) تحدثه في شكواه بصوت امرأة يسمعه.

وقد كان سادان العزى, رجل يسمى (أفح بن نصر), الا وقد كبر به السن في خدمة الصنم واوشك على الموت, فما كان منه الا ان وصى ابو لهب ان يحفظ الهته من بعده ! , واذا بتأثر ابو لهب وحرصه على هذا الموروث الاجتماعي لقومه فيذكر قوله " ان تظهر كنت قد اتخذت يدا عندها بقيامي عليها, وإن يظهر محمد على العزى - ولا أراه يظهر - فابن " وهكذا هي عقلية صناع الصنم والمنفعيين منه و وارثيه ومورثيه.

ولرؤية العمق الاجتماعي لهذا الصنم في وجدان قومه اكثر من ذلك, يجب ان تذكر قصة هدمه التي رويت لها قصص متعددة تدور حول محاولة (خالد بن الوليد) لعدة مرات ان يهدم العزى ولم يستطع ذلك حتى جاءت المرة الثالثة حيث يظهر سادن العزى وقتها (دبية بن حرمى) الذي يحذر القائد الغير ملتفت له ثم يدعوها فيقول

" عَزَى اغضبي بعض غضباتك" فتظهر امرأة حبشية نافشة الشعر تصدر اصواتا غريبة, فيضربها (خالد) بسيفه فيقتلها وتنتهي اسطورتها.

الا وان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول في حديث: لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى" متنبأ بيوم قد نختلف على قربه او بعده حسب حسن رؤيتنا للحال.

(15)

طب و هندسة

المشهد

مساء ليلة مظلمة يسود صمت مهيب البيوت التي اعتادت شيئا من الصخب في مثل هذه الاوقات
قبل اليوم

شاب في مقتبل عمره يجلس امام شاشة (الكومبيوتر) ويتعلق حوله ثلاثة أشخاص بشكل مريب يوحى بالتحفز العدوانى رغم ملابسهم التي تدل على انهم من سكان هذا المنزل
الشاب يتمتم بشفاه مرتجفة
شكلها طلعت اهيه

موسيقي في الخلفية لأغنية مصرية كلاسيكية تقول
" عملتوا ايه في الدنيا ديه ... اه يا ولادى

يا عمر متغطي في حضني اه يا ولادي"

وفي رحاب هذه الاغنية سرح ذلك الشاب بخياله الغض في مستقبله الذي يقبع على بعد "كليات" معدودة تظهر بعدها نتيجته على موقع نتائج الثانوية العامة.

أخذ يفكر في شكل الرقم الذي سيظهر على الشاشة وما سيحمله من تفسير في صورة نسبة مئوية اما يكون بعدها او لا يكون, هانت عليه نفسه ومسكنتها, وهي تخطو الى ذلك الطريق الذاهب بلاعودة, هو الذي لا يزال يفتح عينيه على الدنيا وتحدياتها على وفي لحظات سوف تحكم عليه الدنيا وقضاتها الملتفين حوله الان بان يعيش مرفوع الرأس او موصوما باقي الدهر بالفشل الازلي.

لقد ابداع صناع هذا الصنم الفكري بشدة في اختيار مثل هذا التوقيت في حياة الانسان المصري لكي يحكموا به قبضتهم على احلامه ومستقبل طموحاته, فعندما يبدأ في طلب التحرر المجتمعي (دخول الجامعة) والاعتماد الذاتي وفتح ابواب للطموح الشخصي يختم على روحه بهذا الوصم المجتمعي الذي يصنف خريجي الثانوية الى ناجح ادرك كليات القمة وفاشل مر الى المجهول فقط!, حتى وان نجى من التصنيف فريق ممن ادركوا احلامهم مبكرا او رزقهم الله بأهالي يؤمنون بأحلامهم ويدعمونها, لكن يظل شيوخ الحكم المجتمعي على من فاتهم قطار التنسيق قابعا في وجدان عموم طلاب جامعات ومعاهد "القاع" وخريجها ومهنيها ايضا.

يعيش اغلب المنتمون ل "قاع" التنسيق حياة تختلف جذريا عن كثير من أهل "القمة", هذه الكسرة النفسية تتملك منه وتوجه ادراكه لقيمة نفسه وتبني اسقف متدنية لأحلامه, لن يعامل في بيته مثل اخيه الدكتور, سوف يفصل عن اصدقائه في حرم كلية الهندسة المنشغلون بمشروعاتهم, ولن تندمج مع الصديقات الجدد زميلة الثانوية في كلية الالسن. أول رد فعل سيكون بإهمال واحتقار الخط الدراسي المفروض عليها يساعد عليه مجتمع القاع المزدهم جامعيًا ومهنيًا, ثم تبدأ محاولات من نجى من فوضى المخدرات والعلاقات المهلكة منهم في سبيل اكتشاف بعيدا قدر الامكان عن أي مجال له علاقة بحاضره.

وها هنا تكمن الكارثة التعليمية المشهودة, حيث يندفع الطالب الجامعي خلف ردود افعال نفسية بحثة ليس لها صلة بحقيقة مواهبه او امكانياته الدراسية او مدى توافقه مع المستقبل المهني للخط الدراسي. فهو يهرب من مجال دراسته كرها له وليس انجذابا للمجال الانسب له, وعلى النقيض فريق من الموفقين من أهل "القمة" يصبحون مرضى نفسيين اغرقوا في شهوة الوضع المجتمعي والحظوة الاسرية, يظنون في وهم نجاح الثانوية العامة يتخبطون به في جامعاتهم و وظائفهم اسرى لحالة سكر مستديمة يهربون بها من حقيقة مؤلمة واجبة النسيان ان هذا الطريق لا يناسبهم. المستفيد الوحيد من هذا المسخ الاجتماعي, هي الثقافة المريضة التي تنتشي بتصنيف الناس و تعشق النبذ بالألقاب. تفضح في مناظير طبقية بين نداءات (مهندس) و(أستاذ) و(اسطى), هكذا تتحقق اللذة الجاهلية التي تدني من قيمة الانسان وانجازه, تعطي ل(طفل) لم يتجاوز السابعة عشر مكانة في مجتمع لم يضيف اليه غير كلمات (دشها) في ورقة اجابة, وتنتزع من غيره -نهائيا- الكرامة الاجتماعية مع نزعة يد اجابة لم تكتمل تحت يديه. لتسود الرغبة في التصنيف اخلاق المجتمع اجماليا وتظل تفرغ اجيال من الطلبة والخريجين المشوهين نفسيا.

اصل المشكلة اجتماعي, يجب ان يرفض ويحارب بشدة من الاجيال القادمة, اول معركة ستكون توعوية بحثة, تبدأ باكتشاف الفرص الحقيقية في مجالات العمل والدراسة المختلفة, بالتعرف الى

القيمة الانسانية لكثير من المهن المهضومة في مجتمعنا لكنها مقدره عالميا بين شعوب العالم المتحضر, ثم ينتقل الصراع الى جيل الالباء وارغامهم على رؤية الحقائق مجردة من الاوهام المجتمعية, علينا ان نحطم صنم القمة والقاع الى الابد. وليظهر دور الدولة التي يجب ان تدرك أهمية التوازن الاجتماعي في المسارات التعليمية, بالتوجه الى تطوير التعليم الفني واعادة رسم الصورة الذهنية له بين الناس, ثم القضاء على منظومة التنسيق العفنة بتطوير طرق القبول في الجامعات و العلاقة مع العالم المهني المقابل.

تمسك بثقتك في نفسك, لا تدعهم يعايرونك بفشل اول خطوة, لا تحمل نفسك رواسب نفسية لهزيمة واحدة, حلمك لمستقبلك له بدلا من الطريق الف, فقط تعرف على حلمك جيدا وصدق فيه, اختار الطريق الذي تجد فيه نفسك, مجتمعك دوره ان ينصحك ولا تسمح له ابدأ ان يصنفك, انت الناجح الذي عرف ما يريد ولن يتخل عنه وسيحققه يوما ما ليس ببعيد.

كاريري Career

"اكل العيش مر"

لعله لا يبدو كذلك حين تذوقه لأول مرة
 فالإنسان عدوا لما يجهل ! او هو الجهل العدو الاول للإنسان
 انه سلاح مبتدعي الاساطير لمهاجمة ضحاياهم من مرضى القلق من المستقبل
 يسهل اختراق هؤلاء, من يحملون مبادئ القلق في نفوسهم
 هناك افضل ارض لزراعة الخوف
 الخوف افضل سقيا لأوهام العقول
 سأملك قرارك وامتلك حياتك ان وضعت يدي على مكان خوفك
 تخاف اليس كذلك ؟

على مستقبلك, على راتب الشهر المقبل, على ايداعك الدوري في (تحويشة العمر)
 مرحبا بك في اسطورتى اذن

الكاريري Career

مصطلح يتعلمه كثيرا من خريجي الجامعات ممن فاتهم حظ تعلم مفردات مميزة من الانجليزية
 طوال سنوات تعليمهم "المخروب", ويبدون بعد امتلاكهم لهذا المصطلح اثناء مراحل التأمل
 فالاختيار فالبحت فالجري - عن اي حاجة والسلام - نحو مستقبل مهني, وقد يتطور المصطلح
 اكثر حين يتجرؤون على استعمال المصطلح فتراهم يلتقطوا عبارة (كاريري باث Career
 Path) التي سوف تثقل كثيرا من وزنهم في مقابلة العمل التالية.
 اذن عندما اسعى اليوم الى وظيفة ما, يجب ان (اصصح) لان القضية لا تتوقف على اختيار
 عمل مجزي, انا كشخص طموح يجب ان ابحت ايضا عن (كاريري) لهذه الوظيفة حتى يكون لها
 مستقبل واعرف لها طريقا (باث) سوف اترقى خلاله اذا تفوقت في عملي.
 هذا كله كلام طيب, لكن بمجرد ان تتخطى اقدام حماسك بدايات اول (كاريري) لك سوف تلقى هذه
 الشخصية بشكل او باخر.

حسين (أفندي), خمس عشرة سنة خبرة في المجال !

ايها الشاب المتفائل المنطلق اجتهادا في عملك, ملّ عينيك اذا من (حسين أفندي) انه المثل والقوة,
 الرجل الذي أفنى حياته في خدمة (الكاريري) و (الكاريري باث) , خمسة عشر عاما كم حووا من
 اسابيع وساعات عمل, وهو في عطاء مستمر لل (كاريري) , هل لك ان تكون مثل هذا الرجل
 (الاسطورة)

الشبكة سوف تلقى عليك الان, ولتلقف مني الاحبال واحدا تلو الاخر:

" التنقل الكثير بين الوظائف في بدايات (كاريريك) يضر بك"

" لازم تثبت اقدامك في المكان"

" اصبر على التعليم, التعليم سوف يأتي, الان افعل ما يطلب منك فقط"

" نعم, هذا طبيعي , كلنا كنا كذلك, في اول (كام) سنة شغل, تكون الامور غير مفهومة ولكن بعد فترة ستفهم"

"اصبر....اصبر...اصبر"

وبالتأكيد لا ننسى !

"حب ما تعمل حتى تعمل ما تحب !"

يريدونك ان تعتقد تلك الافكار عن ظهر قلب . حياتك المهنية هي ان تفلح في وضع قدمك في المكان الصحيح يوما ما, وان وضعتها فالخطوة القادمة هي ان تدق بها وحولها الاف المسامير الممكنة كي لا تتحرك من مطرحها, قاوم جميع من يتنازعون عن موضع قدمك, لقد حان الوقت ان تصب كل اهدافك الى هذا النجاح المبتغى, الانسان الذي سوف يصبح (شيئا) في المستقبل هو من نجح في البقاء الى النهاية ومن خبط صفحات سيرته الذاتية ارقاما متزايدة من سنوات الخبرة.

سوف تجد نفسك مجاريا لتلك الافكار, فهي في النهاية تلبى مطالب الطموح والتفوق, وذلك في البداية, حتى تبدأ الاعراض الجانبية للأسطورة في الظهور :

شعور بالملل و الرتابة من العمل اليومي, لكن لن تدعك الاسطورة حتى توضح لك ان هذا يحدث في جميع الاعمال

تستمع الى كلمات مستجد على جلسة قهوة نهاية الاسبوع مع الاصدقاء وهو يتحدث عن وظيفته التي تمنيتها كثيرا , ثم تجد لظمة على وجهك بيد (الواقع) يقول لك : "ركز في اللي انت فيه , متشنتش نفسك !"

يثبت نظرك على (كرش) ضخم يهتز امامك برخاوة مدهشة ويأتي من اعلاه وجه (حسين أفندي) اسطورة الخبرة, يكاد يصيبك القيء فتهرع الى مكتبك وتتهمك في اعمالك اليومية نفسها, وانت تضع في جدولك الاسبوعي (الجيم هو الحل)

هكذا تريدك الاسطورة, جاهزا للتخلي عن كل شيء من اجل مزيدا من "الاستقرار" , نعم هذه هي المعادلة في نهاية الأمر, فلتنقف عند الحقيقة انت باحث عن "الاستقرار" سأقولها لك بكلمة اخرى, انت باحث عن "الراحة" , وقبل ان تكون الراحة هي راحة الجسد والعقل , فهي راحة الضمير من اوجاع الطموح, رغم تكرار العلامات التي تقول لك, مازال هناك شيء اخر لتدركه, تراك مجبرا ان تقتنع ان الامور يجب ان تستمر كما هي

لقد امسكت بطرف خيط الطريق ولن اتركه

" لماذا انت في ضيق من قدرتي على (النجاح) في عملي واستمراري في (كاريري) , ما الذي فاتني في غير ذلك ؟"

لا استطيع ان اقول لك ما الذي فاتك على التحديد, انت وحدك من يعلم – او كان يعلم – حقيقة ما فاتك, انت وحدك من يتذكر تلك اللحظات التي فكرت فيها في التنقل الجذري ! , تلك اللحظات السريعة المنكرة التي راودتك فيها فكرة دراسة علما جديدا , تلك اللحظات المطرودة من ارض مخيلتك عندما طرحت عليك ما يمكن ان يهدد "استقرار" وظيفتك وان كانت نفسك تنوق اليه, فرصة السفر تلك, التي لن تكون ممكنة لأنني "ملتزم" بعملي, الدورة التدريبية التي رفضتها لأنها تتعارض مع جدول العمل, رغم عظم شغفك بمحتواها

هي الفرص التي وجدتها تقف في وجه (كاريريك) ولا تتوافق معه

وانكرت ان (كاربيرك) لربما يكون هو الجاني هنا, وانه هو من لم يحسن التوافق مع "سابق" احلامك وطموحاتك الحقيقة كما اراها,

ان (الكاربير) المستقر اسطورة صالحة للقتل , ان الانسان الناجح قادر على صناعة عشرات ال(كاربيرز) الناجحة بطول حياته وعرضها, ان شخصيات كثيرة ناجحة استطاعت التنقل بين عدة مجالات دراسة وعمل حافلة بالتفوق, الحقيقة انك يمكنك ان تدرس الطب ثم تتعلم تصميم المواقع الالكترونية, وتعمل مدير لجمعية خيرية, ثم تأخذ دكتوراه في العلوم السياسية, وتقبل اول فرصة تأتي لك لقيادة فريق محلي لكرة السلة, بشرط انك ستكون اسعد ما يمكن وبالتالي انجح ما يمكن في كل منها

ليست الدعوة هنا لان ت"نعكش" حياتك وخلص !

لكن هي دعوة لطرده الفلق على لقمة العيش, على التمتع برحلتك في مجال عملك كتمتعك بجولة بالسيارة مع اصدقاء بغرض المرح, اعمل فقط ما تحب, لا تصبر على مكان عمل تشعر فيه بضيق او بنقص في أمل, رزقك بسنة خبرة هو رزقك بعشرين سنة خبرة, خذ قراراتك المهنية وفقا لدرجة رضائك على الوظيفة وليس بقدر رضائك الوظيفة عنك. "ومتقلش... (الكاربير) بيروح ويجي , لكن شبابك ميتعوضش "

(17)

ملو-هدو-مو

س. عزف الانسان ال (ملو-هدو-مو) ؟

ج. هو كائن رباعي الابعاد, يتميز بانفخ يصيب وجنتيه و اخر في اطرافه يبرز من خلف حلة سوداء "لميع" وقميص ناصع البياض يخرج منه البعد الرابع من منطقة كانت تسمى البطن سابقا, ترسم على سحنه ابتسامه عريضة تحمل عميق معاني الرضاء عن النفس تتبعها عبارة "متأنتكة" تقال مع خلفية موسيقى "شخشخة" سلسلة مفاتيح (خير الدنيا كله) " هو الحاج (فلان) ساكن الدور الكام؟"

يمضي السائل دون ان ينتظر اجابة (حارس البوابة) بعد ان تأكد من "زغلة" عينه و اذنه بضجيج مفتاح السيارة , ويتجه الى باب أهل العروسة, يسحب هواء (بسطة السلم) كله لينفخ بكل قوته في نفسه مائنا ما تبقى من اي فراغات في بدلته تعكر صفو صورته التي تملأ مشهد الناظرين عليه الان من (العين السحرية) قبل ان يفتح الباب لاستقباله اخيرا.

ينشر بدنه الذي اصبح - من كثرة النفخ - خارج عن سيطرة (هدومه) ليلقى به على الكرسي الذي يجلس عليه, ثم يستخرج من (هدومه) حشو العمر بدءا من سلسلة المفاتيح, و الهاتف المحمول يضعه على ظهره الذي لم يتخلص بعد من لصقه المصنع ولا مانع ايضا من سواك ضخم اذا استدعت ايدولوجية المكان, وبعد ذلك يستعد لعملية استخراج اصعب, ي(بخ) فيها كثير (حشو) عن نفسه قد أعده او كرره مرارا وتكرارا كي يسد عين واذن كل مستمع, يملأ فراغ غرفة الضيوف بحديث عن تاريخه الطويل في (ملو) نفسه, بدءا من سيارته التي لا يكف عن تحريك مفتاحها -غير متعمدا - مرورا بكفاحه مع "الصناعية" الذين ارهقوه في تجهيز شفته الطويلة العريضة, او مشاغل عمله التي لا تعطيه وقتا ليتمتع بتفاهات الشباب الذين يضيعون اوقاتهم في

نشاطات لا (تملاً) الرجل منا.

ليس هذا الموقف الوحيد الذي يمكنك ان تكتشف فيه ذلك الكائن, فستجده ايضا في مواقف متعددة تمر على احداها بالتاكيد يوميا, تتذكر سائق السيارة الذي غطت وجهه نظارة قاتمة و افرغ مخلفات سيجارته المستوردة على قدمك وهو يمر مسرعا بجوارك, او في مشهد لرجل أسرة وهو يخرج من جيبه " tips " مبالغ فيه يحصن به نظرتة الاستعلانية على نادل المطعم, ولربما كنت تجلس معه على طاولة قهوة واحدة وأسمعك بين سحابات دخان "الشيشة" كلاما لا يخلو من مصطلحات المال والتملك السطحية.

هي تراكمات عادات خبيثة وثقافات مدسوسة اختلطت مع كثير من "النفسة" و عقد النقص لترسم صورة ذلك الكائن, لتضعها هدفا وغاية لكثير من مريضي النفوس و مريدي المنظرة , وكذلك هي تصيب بلا شك اي انسان طبيعي يحاول ان يصبح انسان له هدف ورسالة لا يرجو بعدا رابعا لجسده ولا حلة ضيقة به او حلة واسعة عليه يسعى ملأها, فقط يريد حلة تليق على امكانياته ونصيبه, لكن حتما سيصيبه من رذاذ هذه الصورة الكثير من الاتربة التي ستلصق بعقله بفعل مشاهدات يومية أقوى منه.

هذه الصورة التي تحاول ان تقنعك, ان الشخص المقبول لدى الناس والاسر و الفتيات المحترمة, له تفصيلا (هدوم) معينة, واي طامح ليملاً نظر الناس من حوله وليجد موضع في مجتمعه الحالي عليه ان يفكر في نفسه بطريقة مختلفة, ويكتشف تلك الفراغات في (هدومه) التي يجب ان يملأها كي تصبح له قيمة, ومن يستسلم لتفاصيل هذه الصورة, يجد نفسه امام تحديات ما انزل الله به من سلطان, تضع تسلسل ممسوخ لأولويات قبول النبي ادم عند الناس.

انا ضد ان يقيم الانسان بهيئته, ان يقيم الانسان بممتلكاته, ان يقيم الانسان بكل شيء يصطنعه في حياته, أنا ضد كل شيء يحاولون ان يجعلوا به لشخص ما قيمة بين الناس في حين انه لم ولن ينفع به الا نفسه.

انت قيمتك فيما انتجته حواسك من نفع على الأرض, انت قيمتك برفيع افكارك و كريم اخلاقك وحسن سلوكك بين الناس.

لا تعطي قيمة ل(حشو) يجمل صورتك في اعين من تبتغيهم و لا يكون فيه اضافة لنفسك. ارفض ان يتم تصنيفك وفقا لصور باطلة, وابتح فقط عن من يبحثون عن قيمتك كإنسان. لا تبحت عن (هدوم) تكسي بدن, قد غطى تراب الحياة على ذهنه العاري في مجتمع يتلذذ بفضائح الاجساد ولن ينتفع الا بإنتاج العقول القيمة و النفوس المخلصة.

(18)

الصنم: يغوث
(مجهول النهاية)

كان يغوث على صورة أسدا مصنوعا من الرصاص
ومن استخدامات هذا (الصنم) انه كان يحمل على جمل سريع يسير مع القافلة وحين يبرك يقول
الناس قد رضي ربكم لكن هذا الوادي فينزلون فيه!
وبالتأكيد (صورة) الاسد جعلت الاعتقاد فيه بانه رمز للشجاعة والقوة في الحروب
وبذكر الحروب, فقصه حرب يوم (الرزم) سوف تعمق فهمك لعمق الدور الاجتماعي والسياسي
الذي صنغته الاصنام في مجتمعات الجاهلية وتمحو عنك رؤيتك السطحية المستوحاة من الافلام
المصرية القديمة على انهم بعض مجانين غليظي الخلق
كان الصنم (يغوث) في حوذه بطنين* من قبيلة (طئ) ضعاف يسكنون بجوار قبيلة (مراد) القوية,
قررروا فيما بينهم ان يختطفوا (الاله) ! ويهربوا به الى خصوم(مراد) وكانوا قبيلة (بني الحارث
بن كعب) المحتمية بدورها ب(همدان) لينشب عدوان ثلاثي ضد (مراد) بقى على اثره الصنم
(يغوث) في حوزة (بني الحارث)
والجدير بالذكر ان حدثت هذه الحرب في نفس يوم غزوة (بدر) 623م.
وهنا دعوة للتفكر في الدور الذي لعبته (الاصنام) في الماضي في حياة العرب, وما تفعله في
حاضرهم.

البطن*: هو ما دون القبيلة, او هو فرع من القبيلة بواقع التقسيم الاجتماعي عند العرب, او هو ما دون العمارة في تفصيل النسب,
حيث القبيلة تضم عمارات والعمارة تضم بطون.

(19)

نادي التعاسة

يقولون ان التعاسة جامعة
هذا هو الغرس الاول للأسطورة
الاسطورة التي اودت بإنسانية من اکتوا بنارها
ويأسوا من ايجاد مخرجا لأنفسهم منها
فلم يجد سلوانا الا ان يجرؤا ارجل من لم يقفوا في الاسطورة بعد
اخذوا يبيئون سموم رسمت ملامح الدائرة المفرغة
التي تقول لك ان حياتك ستمر حتما في هذا المسار
ستولد وتتعلم وتعمل ثم تتجوز لتنجب وتموت (موتة ربنا) راضيا انك وصلت الى خط النهاية
المعتاد

فلتكوّن نفسك ولتتضم طواعية الى جماعة التعاسة بيننا نتبادل قصص الاسطورة الابدية
ونرسخ لمبادئها حتى لا ينجو من صحبتنا الا...من اجتهدت امه للدعاء له بغير رؤيته (في
الكوشة)

انا لست ضد او مع الزواج ان كان مبكرا او مؤخرا, فانا مؤمن بان لكل منا قصته الخاصة وان
القاعدة الصحيحة لا ترتبط بعمر الزواج قدر ارتباطها بعوامل اخرى
خطورة الاسطورة, انها تخلق عذرا لجميع الاحلام المجهضة
هم يلتجئون الى الزواج كي يبرروا استسلامهم للحياة, كي يبرروا ضعف عزائمهم
يجدون الزواج المهرب المثالي من وجع ضمير الكفاح الشخصي

عندما تبدأ الدنيا في فتح ذراعيها لجهدك و طاقتك, ينقصها فقط عزيمة وهمة الانجاز
يتحول جهد النفس الامارة بالسوء الى بث مخاوف الطموح ومواجع الاجتهاد, تطلق في وجهك
مشهد الفشل المتكرر وتشوش على اي نجاح محتمل, تزين في عينك المتع القريبة وتبجح حق
الآمال بوصمة الوهم , تعميك فلا ترى الا قصص وصور الفشلة في من حاول, و التقليديين فيمن
سَلَّم بطابع الحياة النمطية

تنظر حولك فترى تعدد السبل الى الطرق الاعتيادية, وعندما تحول نظرك لما يعطوك من
طموحات ترى اسوار البدايات الصعبة عالية وتظن في نفسك الدنو
رغم امتلاء ماضيك بأحداث قد تثبت انك تستطيع ان ترتقي تلك الاسوار بطريقة ما, الا انك لا
تتذكر الا ما يقنعك اكثر بانك الشخص التقليدي والذي سيحيى سعيدا ان بقى تقليديا
تكتمل قناعاتك , ولا ينقصك شيء سوى ذلك العذر الازلي الابدني الذي سيقف بالمرصاد امام باب
ضميرك يقتل اي محاولات لطموح ذاتك للهجوم على حياتك في اي مستقبل قريب او بعيد
الزواج العذر المثالي, بكل تفاصيله التي تدفعك دفعا, الى ان تكوّن نفسك, وتظل قبل واثناء وبعد
الزواج في محاولات لا تنتهي من اجل تكوين لنفسك افضل يضمن لك ان يظل العذر قويا وراسخا
ومرضيا لانفاق حياتك من اجله

هكذا, تكون خطورة هذه الاسطورة, في تحول الزواج من كونه وسيلة الى كونه غاية
الزواج في مفهومه الذي ارتضيه, لا يعد الا كونه مشروع من مشاريع حياتك, وان كان من
اهمها, لكن هو مشروع لا بد ان يكون وسيلة جاءت كنتيجة تصاعدية لمسببات تراكمت لتقنعك انه
سيمهد الطريق لهدف تكون فيه حياتك انت وشريكك افضل
كون الزواج غاية يجعلك عرضة لإحباطات ستنتج عن توقعاتك التي سيغلب عليها مغالاة في
اماني معنوية و"فيزيائية" واجتماعية مغلوطة,
ولان الزواج سيضعك في اكبر مسئولية في حياتك, عندما ترتبط بحياتك حياة اشخاص اخرين,
فان تكون هذه هي غاية لك ففي الاغلب ستكون هي الغاية الاخيرة لعظم تحدياتها واخفاقاتها في
نفس الوقت

اما ان رأيت زواجك خطوة في طريقك حلمك , فلعلك - وعلى مسئوليتك وحدك ! - تفلت من
نادي التعاسة وتهرب من هذا النادي البائس بأعجوبة, لعلك - اكرر على مسئوليتك - سوف تنجو
من هذه الاسطورة , ولكن لن اضمن لك نجاة من اساطير قادمة أصعب.

رسالة منى الأخيرة

عزيزتي أمل,

أوحشتني (:

انا عارفه, منذ مدة طويلة لم تصلك منى اي خطابات, انشغلت الايام الماضية كثيرا عنكي لم تكن الظروف تسمح لي ان ارسل اليك رسالتي الاسبوعية كما اعتدنا, لكن عزائي ان الفترة الماضية حدث بها ما سيجعل هذه الرسالة الالهة في تاريخ علاقتنا,

للمفارقة.... رغم ان هذه الرسالة قد تسعدك فستعرفين فيها ان كل كلامك معي خلال العامين الماضيين منذ ان تعرفنا قد نجح أخيرا ان يغيرني, لكن علي ان اقول لكي هذا الخبر المؤسف, ان هذه الرسالة ستكون الاخيرة بيننا فمع انتهائي منها سأكون لفظت اخر انفاسي في الحياة بالفعل.

تذكرين كيف تقابلنا؟..... نعم, مكتبة الجامعة... هل لا زلتى تذكرى؟ لقاؤنا الاول (:

اه... كم كنتى تبدين في عيني عجزية ومنفلتة و.... مجنونة, لم اكن اتصور ابدا اننا سنكون يوما اصدقاء الى هذا الحد, انى ستمر علي ليالي كاملة اكتب واقرأ رسائلنا ونتحدث في كل هذه الامور, لطالما تنازعنا وتعاركنا, حتى أهلي فالولي انى جننت! ... مثلك, وها أنتى أخيرا تنتصرى في النهاية علي, يا منتقدة يا أم العريف! كم أشكر هذا الكتاب الذي ابقاني يوما كاملا في المكتبة لأغادرها الى بيتى ومعى افضل صديقاتى واقربهم الى.

سوف تقولى, ستأخذنى في الكلام, ولن تعطى لي اي عذر حقيقى كعادتها عن هذا الغياب الطويل!

سأحكي لك!

نعم لقد اعترف لي دكتور(أشرف) علمت انه نقل للمستشفى وحالته حرجة فذهبت اليه. كان لا يزال قادرا على التحدث بصعوبة, أقترب منى وحاول ان يهمس لي بشيء لكن لم يقدر ان ينطق لا اعرف ان كان المرض ام الخجل ما منعه, فتناول من الطبيب قلمه و ورقته, وكتب لي فيها هذا الكلام قبل ان ارحل, " أنا كنت مخطئ... بل انا مكابر... أنتى افضل طلابى, لا... لستى في المكان الخطأ.... وهذا المجال قد يصلح للنساء كما للرجال... انا كنت اعاند ان اجد فتاة تتفوق علي انا شخصيا.... أنتى على الطريق الصحيح... اكمليه... ولو أردتى ان تصبى حقا وزيرة فستكونين يوما ما"

كل شيء تغير بعد هذه الرسالة, لم يمض الا يومين و تلقيت ردا من الخارج... الجامعة وافقت على قبولى لأداء درجة الماجستير.... وكما تقولى أنتى دائما " ظهر الحق يا منى" ... شعرت ان الصورة اكتملت وان كل شيء في الدنيا يقول لي انطلقى! الا... أمى

وقفت بجوارها وهي تعد طعام الغداء للغد, حاولت ان اعاكسها واصفف لها شعر ابيض متسرب من غطاء الشعر القديم التي اعتادت لبسه في البيت واقل لها " الجميل يريح نفسه؟ الرحمة حلوه!" , اجابت بحنقها الدائم شيئا بمعنى انها ليس لديها وقت لفارغة مثلى فعليها بعد الطعام تحضير غرفة الضيوف لزوار محتملين بالغد واقترحت علي استغلال وقتى في شيء نافع كتمرين

(الايروبيكس) اللعين, ما تقول لي لنفسك احسن ! ... عامة ... لم اجد بدا من المواجهة المباشرة, في اليوم التالي قلت لها كل شيء... ما تم وما انوي... وكان علي سماع ما توقعته وما لم اتوقعه كم تذكرت وقتها كلامك الذي كررته علي "ياك تكوني أمك يا (منى) , لازم تتغيري" كانت البداية هادئة بتذكيري بمستقبلي المغبون لو صبرت على وظيفتي قيمة عشرة او عشرين سنة فقط فسأوفر دخلا جيدا لملابسي الاضافية, وكذلك المهنة السهلة المضمونة حتى ان اكثر من اجازات بعد الزواج والحمل, ثم علت نبرة كلامها بتسفيه اصراري على استكمال الدراسة التي زادت حتى عن اخوتي الذكور ثم التندم على مطاوعتها في رفض الزواج من (عمو) مهندس الكويت ذاك ! , مع تماسكي احتد الكلام ليصل الى اهانات من نوع اني لا اصلح اكون أما او في صيغة تهديد بفوات قطر الزواج والتعريض بأخلاقي المنحرفة التي تبقيني ببيت ابي, ولم اكمل النقاش حين بلغ بها الحديث عبارة "انتي فاكره نفسك ايه"

تركتها وهي مازالت تكوي ملابس اخوتي الساهرين بالخارج, ذهبت الى أبي, الذي قلل -كعادته- من موقف أمي بعد ما حكى لي عن قصتها مع جدي قبل ان تغادر الجامعة قصرا, طمأنني انه سيدعم موقفي لكن رجولته حنت عليه بكلمة على غرار انت بنت لكني سأثق فيكي, لن تحتلمي العيش بعيدا عن اهلك.

تعرفي؟ ... وانا احضر في شنطة ملابسي, اخذت اتذكر ذلك اليوم عندما زارتنى صديقتي (راشيل) الإنجليزية وذهبتنا بها الى الجامعة, هذه مشكلتنا هنا في مصر يا (أمل), هل كنتي تتخيلي ان نقف لنشاهد ماذا سيحدث لها وهي تدخل بتحدي وسط الشباب لتحضر لنا الاوراق ونحن نتوقع لها في اي لحظة ان يتحرشوا بها واذ بنا نحن الاتي يفقن بجوار الحائط يتحرش بنا وترجع هي فقط بنظرات الاحترام المشوب بهيبة وحياء غير مخدوش, مشكلتهم ابدا لم تكن في الزبي او حتى في حاجتهم الحيوانية الى التحرش, المشكلة انهم رأوني انا استحق التحرش, انها قضية "حقوقية" بحثة !, لقد كفل المجتمع حقا لهم ان يتحرشوا بي لأنني في عيونهم سافرة تجاوزت حقي كمصرية في الحماية من التحرش وكان علي ان اكتسب بشرة افتح او شعرا اشقر كي احصل على حماية اوسع كإنسانة من التحرش مثل الذي حصلت عليه (راشيل), لقد سمعت مثل هذا الكلام من صديقة لي اخرى عندما عدت للحجاب, ان هناك بنات يدعون الشباب ليتحرشوا بهم, هناك بيان حقوقي كتب على جبين مجتمعنا اصبح بعده الصواب والخطأ نسبي ومشروط.

شيء في قد تغير في اخيرا يا (أمل), وكأن ستار غليظ رفع عن عيني لم اعد ارى الدنيا بنفس العين, توقفت عن سماع ما ارادت الدنيا ان تصم اذناي به, اصبحت اسمع فقط صوتك أنتي وهو يناديني " اقتلي (منى) التي زرعوها داخلك , كسري تابلو (منى) وأرسمي (الموناليزا) بلا حدود ولا هوامش ولا قوالب غبية"

الوقت جرى مني, لكني تقريبا حكيت لك كل شيء, أمي لازلت تكافح في معركتها الاخيرة مع أبي بالغرفة, اسمع شجارهما, لقد وعدني ابي ان يقابلاني في المطار بعد العراك الاخير, سأغادر حالا, أخي يستعجلني, هذه المرة سأقول لكى كلمتنا المحرمة : (..... وداعا صديقتك الجديدة,

حياة

غير جلدك

"فرحان قوي أنت بجلدك؟"

هذا هو الرد المناسب للسبب التي ستتلقاها حضوريا أو غيابيا اذا كنت من هذا النصف من البشر الذي يتغير ويساعد على التغيير, وكما تعلمنا من أساتذة التعليق الرياضي المصريين, فان الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع, لذا قم بعمل هجمة مرتدة على من ينعتك بأنك "غيرت جلدك", تفحص في جلده هو وقم بانتقاده, في الاغلب ستجد ان هذا المهاجم ذو جلد متهتك, انشغاله بحالك يفيد بتدهور باطنه وظاهره سويا, سترى شيئا ظاهرا فيه يستحق النقد, وظيفته أو بيته أو زواجه.. على الاقل سيمكنك ان تلاحظ تدهور صحته أو هيئته, هناك بالتأكيد شيئا في ظهرك انت قد افتقده ودفعه للتهجم عليك.

سيكون المدخل عنيف شيئا ما بهدم هذا الصنم على "يافوخه" هو وكل يسبب له تغيير الجلد هذه الحساسية الاجتماعية, يجب عليه في البداية ان يشعر بذلك الانكسار, قبل ان ترد النقاش مرة أخرى الى صحة وحقيقة مفهوم "تغيير الجلد".

الحقيقة العلمية البيولوجية التي يجب ان ننطلق منها, هي ان الانسان بالفعل يغير قشرة جلده يوميا, ان كل شخص منا لا يمتلك نفس خلايا الجلد التي كانت "عليه" قبل أسبوعين أو ثلاثة, فهي عملية فطرية وطبيعية خالصة اذن.

ان قيمة التغيير حاضرة وبقوة في الطبيعة التي خلقت من حولنا وبداخلنا, ان كانت في الكون الذي يتغير بلا توقف من ليل الى نهار ومن نهار الى ليل ايتين كل يوم, او في تاريخ البشرية الذي تداول بين الأمم صعودا وهبوطا, أو تفتح الأزهار ثم نموها ومواتها السريع. وفي أنفسكم! هو ليس الجلد فقط, الاظافر, الشعر, ناهيك عن خلايا الجسد الباطنية, كل شيء في تغير, نعم فالكون خلق على رفض الثبات والسكون, التغيير ضرورة لبقاء البشرية والحياة.

سيقولون: ولكنهم لا يهاجمون التغيير في حد ذاته, انما يهاجمون التغيير المذموم, أو التبعية العمياء, أو التنازل عن الثقافة والمبادئ, من يهاجمك على تغيير الجلد, يرى تقلب مواقفك و أرائك وهيئتك التي لا تتم على التوجه الصحيح, فهناك أنواع من التغيير الحميد, الجميع يقبلها ويحض عليها, انما هذا الشكل من التغيير هو ما يهاجم وينعت بهذه السبب.

ولو أني لا أرى في من يحمل هذا الرأي صحة قبوله للتغيير كمبدأ, وأدعي ان أصحاب مثل هذا التوجه, هم ضد التغيير اعتقادا وممارسة في حياتهم و دعواتهم, ولكن حتى حجتهم هذه فهي باطلة كذلك.

من يصنف التغيير؟

يجب ان تكون في موضع الثبات كي تلاحظ الحركة للآخرين, يجب ان تمتلك الصفة المطلقة لكي تشعر بالتغيير النسبي ايجابا وسلبا فيها لدى الآخرين.

من منا سيدعي انه هو الشخص الثابت, الذي تمر عليه السنين ولا يتحرك, لا تتغير نظرته للأمور وحكمه على الإيجابي والسلبي وتقديره للجيد والسيء, من ذا الذي يمتلك الحكمة الكاملة ليحكم على تغيرات انها حكيمة أو يمتلك الصدق الكامل ليرى مدى ميلك للكذب.

ان تجربة الانسان قصيرة, في حياته وفي تاريخ البشرية, وعلى قدر قصرها فهي مفعمة بالتغيرات والتقلبات في الأحداث وفي المفاهيم والنظريات كذلك, لذا فان عليك ان تتحلى بقدر من الشك في صحة معتقداتك عن الصواب والخطأ والنافع الضار, وخاصة في أحكامك على التغيرات ومدى كونها نافعة أو غير نافعة في حياة أشخاص بعينهم.

أسطورة التبعية

ثم نتحدث عن الاسطوانة التي أرهقنا كثرة شرخها, عن الاشخاص المتحولين, الذي يغادرون موطنهم ويذهبون اما الى مدن أو بلاد أخرى ثم يعودون وقد "تغير جلدهم" وحكم الانبطاح الحضاري والتبعية مجهز في استقبالهم, هذا الحكم المبني على افتراض انك-أنت الشخص الذي اختاره القدر ان يحظى بالفرصة النادرة للخروج من أسوار منظومة المجتمع- تمتلك نفس ضعيفة وشخصية هشّة مقارنة بأقرانك القابعين داخل الأسوار, وانك قد سقطت مع أول عظمة القيت اليك من الاغراب, ففقدت شخصيتك بهذه السهولة , بعت ماضيك وحاضرک وذهبت تلهث نحو القيم الضالة المبهرة ! وتترك ما الفه بنو جلدتك من قيم "راشدة" معتمة !

الصدمة التي يجب ان نستوعبها, ان لا أحد يبيع ماضيه الا اذا ارتضى حاضره ومستقبله, لا تلومني على ارتداء جلدة جديدة جميلة وصحية ومبهجة, أعذرني هذا ليس ذنبي, لكن هو ذنب جلدتك القديمة الباهتة المريضة و ذنب كل من تحاشى رؤية العفن فيها وتعصب للتمسك بالخبث لأنه موروث, ان لم ألقى بالجلدة التي امرضتني أرضا فانا شخص قد افتقد رغبة الحياة وانت ان انتقدتني في ذلك, فقد فقدت منطق الحكم.

عموم الناس سيؤلون في النهاية الى اتباع الأصلاح والأسعد لهم رغم أنف الرجعيين في كل عصر, هذا ليس في أمتنا التي تأخذ نصيبها من دولة التأخر, انما في كل أمة الت في النهاية الى اتباع الأنفع لها, فالأمم المتبعة اليوم كانت تابعة بالأمس, الناس لا تهتم بهيئة "جلدتهم" قدر اهتمامهم بمستوى الطعام والملبس والفراش الذي سيمتلكونه.

التغيير لا يزيل الماضي

ومع ذلك فالتغيير ليس سلوك اقصائي عنيف ينتزع الماضي ويمحيه, انما هو كعملية تغيير الجلد الطبيعية, يحدث بالتدريج وبالانسحاب الذي لا يعرف صراع ولا تنازع يذكر يجعلك تشعر ان هناك جزء منك يموت واخر يحي, انما هي سلاسة الاستبدال وسهولته, التي نفتقدها في قبولنا لعملة "تغيير الجلد الاجتماعي" , عقد النقص تولد هذه الحساسية لدى شعورنا بتغيير يطرأ على الآخرين, نتحفز للتهجم عليهم والتعليق على التغيير , التوبيخ والتنازب بالألقاب, يجب ان نصيب "المتغير" بلعنات الاضطهاد الاجتماعي ونحن موقنين اننا سنقف موضعه يوما ما ولن نسلم كذلك من أفواه المتمسكين بجلدتهم.

تغيير الجلد هو عملية بناء وليست عملية هدم, هي محاولة لامتصاص الصالح من الماضي, واعدة صباغة المستقبل, نعم سيبدو التغيير ظاهريا, هذا عامل نفسي مهم لا يمكن اغفاله, ستمر حتما على مرحلة التغيير الظاهري لكن لا تتوقف عندها, ابحت عن التغيير الايجابي الحقيقي الذي تريد ان تحدثه في شخصك, وابحت عن الشيء الايجابي الذي تغيير في من حولك ولا تعلق عينك على "غير المألوف" والسلبى, سيكون هناك اثار جانبية لا يمكن تفاديها, لكن ذلك ليس مبرر للكفر بالتغيير كضرورة.

اتركوا الناس تخوض تجربة التغيير, لقد خلق الله لهم عقلا وذاكرة ليحكموا هم على ماضيهم
ومستقبلهم ويقارنوا, اجعلوا نصيحتكم مطلقة ولا تجبروا غيركم ان ارتضيتم لأنفسكم اتباع
القولب, دعوهم يجربوا كل جديد وسوف يستقرون في النهاية على الأصلح.
الحياة هي حقنا في الخطأ و التجربة.

(22)

الصنم: مناة
(24 رمضان 630م)

حمل الصنم (مناة) معنيين متقابلين عند العرب, ما بين انه اله الخير والعطاء وكذلك في نفس الوقت اله المنايا والموت.

وارتبطت مناة مع (الات والعزى) بعقيدة تثليث لدى العرب قبل الاسلام, والتي أسست عليها اهم وضعية اجتماعية في مجتمع الجاهلية, حيث نسب لله انه يتخذ بناتا -سبحانه- من الاناث (الات والعزى ومناة ثلاث الهه مؤنثة) بينما يكون لهم كمجتمع الذكور, مما يعطي -بطريقة ما- مبررا لواد البنات, بمبرر انه لا يصح ان يمتلكوا هم -عباد الله- بناتا مثل الرب, واما من تنجو من الاناث من القتل فستعيش منتهكة اجتماعيا تحيي فقط تفضلا من الرجال ولا يصح لها من حقوقهم شيئا.

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾

سورة النجم

(23)

حريق الجامع الكبير

قصة فوق البيعة

الفصل الثالث (3 /4)

تعلقت اعين المحتشدين حول مسرح المحاكمة بالمشهد, كان عمه قد جلس هناك بين الحارسين الاذان جاء به, ثم ما كانت الا لحظات حتى اتى القاضي, ليطلب الشاهد ان يدخل, تقدم رجل يحمل على ظهره زكبية, وضعها ثم فتحها لتبدو من خلالها اوراق وكتب احترق معظمها ثم وقف امام القاضي.

قال القاضي:

هل تعرف هذا الشاب؟

اجاب الرجل:

انا اعمل خادما للجامع الكبير منذ خمسة اعوام, واعرف (ابراهيم) جيدا, وعرفت كثيرا عن سخريته من كتب سيدنا (المنذور) وعن ما فعله منذ عام في المولد السابق, ولكني لم أراه حتى اسبوع قبل الحادثة, حين رأيتة يعلق صورا تسخر من (المنذور) وكتبه ويعلقها في البلدة وعلى حوائط الجامع ايضا ليلا.

سأله القاضي:

وهل رأيتة ليلة الحادثة؟

الرجل:

نعم رأيتة, كنت قد تأخرت عن الإمام الذي سيقني الى (المولد) ثم رأيت (ابراهيم) بالقرب من الجامع, ولكني تخيلت انه كان يحاول لصق تلك الصور ككل ليلة وفر هاربا, لم اكن اعرف انه ينوي على ما فعل ابدا, صدقني يا سيدي. التفت (القاضي) الى (ابراهيم) الذي جلس يتابع ما يقال بعين شاردة, ثم اشار امرا اياه بالنهوض وهو يقول:

انت متهم بحرق مكتبة البلدة والتسبب في حريق الجامع الكبير؟

هل انت من أحرق هذه الكتب؟

واشار باتجاه الزكبية وما خرج منها من بقايا الكتب

نهض (ابراهيم) في هدوء, ثم قطع بعض الخطوات في لحظات صمت سكن فيها المشهد تماما, حتى وصل الى الكتب الملقاة امامه, فبحث بيده المغلولة فيها, حتى الى كتاب واحد يبدو ان لم تمسه النار, فينتزعه من بينها وهو يرد على القاضي

لكن لم تحترق كلها, بقي كتاب (المنذور) الاخير هذا

فلنعرف منه اذا من حرق الكتب

تعالت همهمة الحضور, و سادت علامات الدهشة على وجوه الواقفين على المسرح, بينما يتمتم عمه

ما هذا !؟

خطى (ابراهيم) الى طرف المسرح في مواجهة الناس, ورفع الكتاب قدر ما استطاعت يده المكبلة ثم بدأ يتحدث اليهم:

ها هو كتاب (المنذور) الاخير, الذي انتظرتموه طوال هذا العام , الكتاب الذي اخبركم عنه امامكم, وكان سيخطب فيكم منه صباح ليلة المولد ,
ها هو عليه ختم (المنذور) الذي لا يمكن تقليده, و به اوراق (المنذور) التي لا يمتلكها سواه
اليس كذلك ؟

ثم نظر باتجاه عمه الواقف مندهشا محدقا في الكتاب بين يديه
استكمل (أبراهيم) حديثه وقد ازدادت حماسته وهو يقلم صفحات الكتاب
هنا في هذا الكتاب, الصفحة قبل الاخيرة, وبخط (المنذور) وقلمه كتب في نهاية الصفحة "
ويحرق مكتبة البلدة امام الجامع الكبير"
واغلق الكتاب وسط صيحات الدهشة والاستنكار بين الجموع , ثم خطى للخلف حتى وصل الى القاضي, ليضع الكتاب مفتوحا امامه ثم يلتفت مرة اخرى وقد اشتعل حماسه:
(المنذور) قد اخبركم في كتابه من فعلها , هل ستصدقون اليوم كلامه?
ثم التفت الى عمه مشيرا اليه:

هو من فعلها, هو من أحرق الجامع الكبير!

انتفض عمه خارجا من صدمته:

انت كذاب ! هذا غير حقيقي ! الكتاب لا يقول ذلك,
انت مزور, لا يمكن ان يكون هذا كتاب (المنذور)
واتجه (عمه) في اتجاه القاضي, الذي استوقفه بإشارة من يده وهو يقول متطلعا في الكتاب:
الكلام صحيح , والختم صحيح

رد عليه بعصبية ملوحا بيده:

مستحيل ! لقد...لقد.... لقد قرأت الكتاب, هذه العبارة مدسوسة, لقد زور الكتاب

رد عليه القاضي:

كيف وهي مكتوبة بنفس الخط على نفس الورق بين باقي الكلام ؟
اخذ عمه يلوح بيده في غضب ويحاول الاقتراب ليأخذ الكتاب من يد القاضي وهو يهتف:
دعني اراه, هذا ليس حقيقيا, انتم لا تفهمون

صاح فيه (القاضي) بشدة مستوقفا:

هل جننت ! انا اعرف ما اقول, هذا كتاب وخط (المنذور) يا امام
تسمر (عمه) في مكانه وهو يجز على اسنانه بغيظ , حتى جاء صوت (ابراهيم) يقول:
لكنه محق..... هذا فعلا ليس كلام (المنذور) , هذا كلامي انا
ساد الصمت , وهو يتابع كلامه ويخطو باتجاه باقي الكتب الملقاة:

نعم.... لقد كتبت انا هذا الكلام , هذا ليس خط (المنذور) بل خطي

ثم رفع رأسه بعدما التقط كتاب محترق واكمل بصوت هادر:

لكن الحقيقة , ان ليس هناك كتاب واحد هنا بخط (المنذور) , الحقيقة ان ليس هناك ما يدعى

(المنذور) , الحقيقة ان الامام هو (المنذور) نفسه

كل الكتب هذه كتبها بخطه هو وفي مكتبه,

بيده كتب كل هذا الكلام الذي تعيشون عليه وتعتقدون فيما يأتي به, وانا كتبت بنفسى هذه العبارة قبل ان ينهي الكتاب دون ان يدري.
صاح (عمه) من خلفه بجنون:

لا تصدقوه, هذا كذب..كذب !

استكمل (ابراهيم) دون ان يلتفت اليه:

اذهبوا الى مكتبه الذي لم يدخله احدا منكم يوما ما, ابحثوا فيه, افتحوا صندوقه الخفي, وستجدوا هناك نفس القلم والورق الذي كتبت به كل هذا الكتاب, كل هذا الكلام الذي تبنون عليه حياتكم, الكلام الذي اخركم عن باقي البلاد, قد كتبه رجل منكم وقد كتبه ابوه واجداده من قبله, هو الامام الرجل الذي حاول طوال عمره ان يحجب عنكم الحقيقة اقرب (ابراهيم) اكثر من الناس وهو يقول واغلاله ترتج مصدره ضجيجا عاليا:
حقيقة انكم اتبعتم كلام توارثه ابائكم و ورثتموه من بعدهم بلا تحقق ولا مراجعة, صدقتم كذبة (المندور) ورضيتم بحالكم, لم تتراجعوا لحظة لتفكروا في فائدة هذه التعاليم التي اجبرتم انفسكم واولادكم عليها, لم تتخيلوا للحظة ان واحدا منكم يخترعها ليسيطر على حياتكم ويمتلك عقولكم. هنا انقض عليه (عمه) وطرحه ارضه وهو يصرخ:

لا تصدقوه.... انه مضلل ومجرم , انه مفتون ببلاد الغرباء التي تربي فيها, يريد ان يطمس هويتكم وينسيكم اصلكم, هو لم يرد الا منصبى ومقعدى هذا.

تعالت هممة الناس وحديثهم, فتابع الكلام:

هل ستصدقون ان تعاليم (المندور) هذه كذب, ما عاش عليه ابائكم, وما تربيتم عليه طويلا, هل ستتكرون فضل (المندور) عليكم ,

اخذ الناس ينظرون فيه وفي بعضهم بتوتر, فاندفع يصيح فيهم:

انه هو المجرم, لقد اعترف بنفسه , قد اعترف انه هو من كتب الكلام , انه هو من احرق المكتبة, هو من تعدى على حرمة جامعنا واهان كرامة بلدتنا

ثم التفت الى القاضي:

فلتحكم عليه ايها القاضي لقد اعترف !

تلعثم القاضي واخذ يتمتم بكلام غير مفهوم, قبل ان يتمالك نفسه ويقف مواجهها (ابراهيم) قائلا:

تراجع الان يا فتى وقد تنال رحمتنا, اسحب ما قلته عن (المندور) وانقذ روحك

قام (ابراهيم) مرة أخرى وهو يقول:

انكم انتم من يحتاج الانقاذ. اما انت فليس في يدك حياتي او موتي

رد القاضي وقد ازداد عصبية:

استطيع ان احكم عليك الان بالإعدام لتصبح ذكرى منسية

سكت (ابراهيم) للحظات ثم قال في ثبات:

قد تقتل جسدي اليوم ... نعم

ثم ادار وجهه ناحية الافق ثم اشار بيده وهو يواجهه:

لكن لن تقدر ان تمنع شمس الحقيقة ان تغيب,

وسوف تبقى الفكرة ليحملها من سيأتي بعدي وانتم مصيركم الى الزوال... فقط

واذا ب(عمه) يحاول ان ينقض عليه مرة اخرى وهو يدفع الحارسان:

اقتلوه ... فلتقتلوا هذا الكافر

وهنا نهض القاضي من جلسته وهو يشير الى الحارسين:

اذا تموت يا (ابراهيم) بنفس فعلتك

وكما حرقت كنب (المندور) تموت اليوم حرقا مصحوبا باللعنات

ثم اشار باتجاه النيران التي تشتعل في جرن القرية المجاور للجامع الكبير

خذوه !

(24)

الارتباط الشرعي

(الزواج الاسلامي الحديث)

الى أي مدى تشعرون بمشكلة في نظام الزواج "الشرعي" الحالي السائد بمجتمعنا؟

الى أي مدى يمكنكم ان تذهبوا بخيالكم بحثا عن حل جديد ومختلف وشرعي ايضا؟

هل مأساوية الوضع مبررا كافيا لإعادة النظر والبحث عن عيب لم نلاحظه؟

هل ستجبر الاجيال القادمة اما على التعايش المرّ مع نفس نظام الزواج او الاضطرار الى التملص المجرّم منه؟

هل انت مستعد لتقبل طرح جذري وليس وسطي, قد يصدمك كثيرا؟

هل مللت من الاسئلة ! ... فلننبش اذا في القضية, ونطلع سويا على الطرح المنتظر

بالفطرة هكذا , خلق الانسان وبه مجموعة مكونات فيسيولوجية وسيكولوجية حتمت أهمية علاقته بالجنس الاخر, هكذا جبل البشر على ان تكون العلاقة بين النساء منهم والرجال ذات أهمية نفسية واجتماعية قصوى على المستوى الشخصي وذات اثار جمعية بالغة على مجتمعاتهم, هذا وان كان لطعام الانسان وتنفسه الصحي شأن حيوي لبقائه فان لعلاقته بالجنس الاخر شأن أقل (حيوية) فيما يتعلق باستمرار الحياة عضويا ولكنه كحاجة انسانية أرقى من الطعام والتنفس وابلغ من ناحية الاثر النفسي والاجتماعي.

أكدنا سويا على المبدأ, فكيف تعامل اذن مجتمعنا مع هذه "الفطرة"؟ وما هو النظام الذي اخترناه لأنفسنا كي "يساعدنا" على احتوائها؟, أعرف انك تمل من التحليلات, ماذا لو استعرضنا بعض الحقائق المعلومة للمصري بالضرورة عن احوالنا في الزواج...

تقرير مركز المعلومات بمجلس الوزراء رقم 36 سنة 2009

مليون شخص تجاوز 30 عام بدون زواج, نصفهم تجاوز 35 عام !

متوسط أعمار الزواج 29 عام للذكور و 24 عام للإناث

تقارير أخرى تتحدث عن 13 مليون أعزب في عمر الزواج من الذكور والاناث

كل هؤلاء يحيون بلا تفعيل صحي لفطرة العلاقة بالجنس الاخر

كل هؤلاء يفقدون الارتباط العاطفي

كل هؤلاء محرومون من الاتصال الجنسي

كل هؤلاء يعيشون بلا استقرار اجتماعي

الحديث هنا عن أهم شرائح مجتمعنا تعاني من مشكلة ضد فطرتها

في أنشط مرحلة من العمر (15-40) حيث ينتظر أقصى نشاط للاستيعاب والانتاج الفكري والمادي, حيث فرصتك لتحقيق ذاتك واستغلال طاقتك

من نجى مبكرا بزواج عاجل فقد أرضى عامل الاستقرار و تورط في قالب اجتماعي مركب, لم يبق له فيه الا شعور بغلو ثمن الارضاء الجنسي, وشظايا نشاط عاطفي محطمه على صخرة الوضع الاجتماعي الذي أجبر عليه.

اما الأغلبية من المعذبين تائهين بين حلول منتقصة أحدهم معذب في علاقة عاطفية فقط, هي مؤقتة ومتوترة بلا استقرار اجتماعي و رغبة مجرّمة في تطويرها جنسيا

وهناك من قدّم الأشباع الجنسي على كل شيء, وضى بخيالات العاطفة وسط عذاب ضميره واحتقار وتحريم المجتمع واكتسب صفة المنحل الفاسد.

واخر مفتقدا للعاطفة والجنس والاستقرار سويا —هو الاعم- مكبل بممارسة "شاذة" مخالفة للطبيعة, على هيئة علاقات عاطفية مكتوبة ! أو جنسية احادية ! او اجتماعية مشاهدة و متغنى بها فقط عن الحبيبة والزوجة والبيت والوطن أيضا !

نحن في كارثة ايها السادة, لا تهرب من المواجهة, اصرخ بهذا الوجع الكامن بأضلعنا هؤلاء هم نحن !

هذا هو نتاج النظام الاجتماعي الذي ارتضاه السابقون, وقبلنا به حتى الان, لكن ها نحن نكتشف حجم الاذى الناتج عنه, ان تعترف بحجم المشكلة هذه هي البداية, ثم تكون الحقيقة الانسانية, ان ليس هناك أزمة بلا حل ولا داء بلا دواء, ولم يخلقنا ربنا هملا, لم يضع الله بنا هذه الرغبات والاحتياجات ثم يتركنا فريسة لها تحاصرنا معتقدات جبرية وحلول متعسرة تدفعنا لاعتقاد باطل ان معاناة الدنيا والبؤس فيها هو حال الصالحين! مناقضين لقول الله تعالى "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة" (97-النحل), ولا تقنعني ان عموم الشباب في بلادنا يعيش حياة طيبة علي اي حال من الاحوال رغم محاولتهم ان يعملوا صالحا قدر الامكان.

نعم هناك حلول وأفكار أخرى يمكن ان تستبدل الوضع الحالي, لكن تراكم الاعتقادات الخاطئة وتوارث التقاليد المتحجرة اثقلت ضغط اصنام المجتمع على افقنا, واحتد كهنة الاصنام في صد الافكار الجديدة, واصر كل جيل ان يذوق اللاحقون به مرار عيشته. ضعف أهل الاجترار على التجديد, وقلة المتحمسين على التغيير وفقا ضد السماح لنظم أخرى للزواج ان تكون بديلا متاحا. ان الانتقال من وضعنا الحالي للوضع الصحي السليم الذي ترتضيه فطرة البشر يحتاج الى قفزة في الخيال والشجاعة والمنطق ايضا.

الارتباط الشرعي

هو نظام زواج حديث, يعطي غطاء ديني اجتماعي لعلاقة بين شاب وفتاة, اختلطا فتعارفا فتحابا فتطورت علاقتهما فاخترارا ان يكون ارتباطهما شرعيا, حيث يتصلا كزوجين, بعلم الأهل والمجتمع, يربطهما اشهار واتفاق مبسط مجرد من المعهود عن متطلبات الزواج.

كمثال, الشاب يدرس في الجامعة تعرف على زميله له لمدة شهور تطورت العلاقة بينهما كأصدقاء, وارادا ان يكملا علاقتهما, هو يعمل اخر النهار ويسكن في غرفة صغيرة وحده, وهي من أسرة تشبه أسرته, اتفقا على كل شيء وبقى اعلام الأهل, تعارفت الاسرتان في زيارتين, ثم في الثالثة قبلوا جميعا اتمام هذا "الارتباط الشرعي", انتهت القصة هنالك بلا اي مزيد من

التفاصيل, بعد حفلة صغيرة ومنذ هذه الليلة وهما يعيشان سويا كزوجين, بلا خطوبة او شبكة او مأذون او فرح او مقدم او مؤخر.

هذا السيناريو يحتمل تغيرات أخرى مثل: قد تكون الفتاة هي الاخرى مستقلة العيش بعيدا عن اهله, وقد يتزوجا وكلا منهما في بيته بلا بيت يجمعهما بشكل دائم(المسيار), او لعل الفتاة راشد فتكتفي بإبلاغ الأهل فقط , دون حاجة للعائلتين ان يتقابلا او يوافقا على الارتباط, وقد لا يكون هناك حفلة او ما الى ذلك من احداث, فقط ان ينفق الطرفان ويشهدا صديقين (شهيدي عدل) على اتفاقهما, قد يشتري الرجل هدية بسيطة لها(مهر) وتتنازل الفتاة عن باقي الحقوق!

قد تبدو الفكرة بسيطة أو هاشة بالنظر الى سيل الانتقادات الجاهز لها, المتمثل في الاصنام الفكرية المسبقة التي تمنع قبول مثل هذا الطرح, فلنحمل فؤوس الحرية ولنتناولها واحدا تلو الآخر اذن.
رأي الدين؟ هل هذا التصور يخالف الشرع الاسلامي؟

نشأت الفكرة من المبدأ الشرعي الذي علمه (الاسلام) لمتبعي منهجه, حيث يسر عليهم شروط الزواج والطلاق ايضا, في صورة تتناسب مع مقتضيات العصر دون تعقيد مبالغ يصعب العملية او تفريط مترهل يميعها. ذلك ان شروط صحة الزواج فقها هي: الحل (من غير المحارم), الجدية(غير مؤقت عمدا), ثم الاشهاد والاشهار, وموافقة الولي.

ماذا عن الصداق (المهر) والنفقة والمؤخر, وموافقة الولي, والشهود, والعقد والاشهار؟

أغلب هذه النقاط وكما يوصي بها الشرع فإنها تخضع للعرف والاتفاق, ومجتمعنا بالغ في وصفها حتى خرجت عن مضمونها, فلا مانع ان يكون "المهر" هو خاتم الارتباط, وان تتنازل الفتاة عن النفقة بإرادتها, المؤخر يمكن تجاهله باعتبار الصداق كله مقدما, وموافقة الولي تنتفي للراشد (من جاوزت سن البلوغ شرعا!) - عند الحنابلة -, او موافقة الأب, أو الجد, أو الاخ, أو القاضي(المحكمة المدنية) أو رجل عدل من المسلمين - عند جمهور العلماء -, والشهود هم الاصدقاء الذين سيحضرون حفلة الارتباط في ال(Cafe) حيث سيتفق الطرفان شفويا (العقد) على الزواج ويشهراه بتغيير على Facebook marital status .

لماذا لا تريد الزواج التقليدي؟

لأنه هو أساس المشكلة, تلك الخطوات الطويلة المريرة التي لم ينزل الله بها من سلطان, فاتحة فخطبة فشبكة فكتب كتاب ففرح فشقة فعفش فعقد فقائمة فمؤخر فصداق, لماذا بحق الله ! , ما الذي يجبرنا على كل هذه العملية المركبة, ولماذا يصبح الارتباط مسألة قانونية بحتة تفصلها محكمة الأسرة قبل العاطفة !

كما خلق الله الجوع في الانسان, جعل الطعام ميسر الوصول, وقبل المجتمع البشري هذه الفكرة, لكي أكل يوميا لا احتاج لإنشاء "مشروع" مطبخ للطعام يسحب من ثمين وقتي وجهدي ومالي, انا لست مضطرا ان اجعل من الزواج "مشروع العمر" ومن الفرح "ليلة العمر" كي احقق متطلبات الفطرة النفسية والجنسية المرجوة منه.

ثم ان هذه العملية المركبة لم توجد الا لتكبييل الطرفين, ليكون الزواج "كاثوليكيًا" في باطنه, يكون سجن لا يمكن الفكك منه, ان لا يعتمد ارتباطك بالطرف الاخر على توافقكما ولكن لأنكما مجبرين على العلاقة, كل هذا الحشو المادي لتقييد حريتكما في الاختيار قبل الزواج وما يصحبه من حذر بالغ, او تقييد حرية الانفصال الذي سوف يعتمد على مدى كفاءتك في التنكر المالي من العلاقة فقط !

حقوق المرأة؟ ومن يقبل بهذا؟

هذا هو أهم انتقاد, وأصعب صنم, القبول الاجتماعي, من الأب الذي سيقبل بهذا "التفريط" في بنته؟! ومن تكون (البنت) التي ستقبل بهذا "الانتقاص" في حقوقها.

نحن المجتمع الذي اتفق (رجالاً ونساءً) على سلب المرأة حريتها والتحقير من شأنها ومن ثم امتهان حقها في تقرير مصيرها, نحن من نصر على ارهاب فتياتنا اجتماعياً و وضعهم في حالة تهديد اجتماعي وجنسي متواصل, تضطر فيه الى اللجوء الى "حوائط" تأمين تضيق الخناق على رغباتها في الانطلاق في الحياة.

رد هذا الانتقاد, بانتفاء تلك الصفات جميعها عنا, ان تدرك الفتاة انها تمتلك نفس حق الرجل في التحرر من قيود العائلة و الزوج, ان علاقتها بهاذين الطرفين هي علاقة احترام الحقوق و الواجبات فقط. ان يدرك المجتمع ان عصر انسان الغابة انتهى, وان الضعف التكويني لجسد وعاطفة المرأة ليس مبرراً لانتزاع حقوق حمايتها البدنية والنفسية قسراً.

هذه الثورة على نظم الزواج, لن تقم الا على سواعد فتيات بلادنا, الذين ائمنوا ان في صوتهم "ثورة" سياسياً, هن من سيفلبن هذا الصنم الاجتماعي, عندما تدرك الواحدة منهن انها تثق في الرجل الذي يفهمها لا الذي ينفق عليها, انها تطمنن للرجل الذي اعطاها اسراره لا ذهباً, ان تعيش مع من يمتلك احتراماً لقدرها لا للمؤخر المسمى لها.

والنماذج التي عرفناها في عائلاتنا تعطي مفهوم عكسي تماماً عن أسطورة تأمين الفتاة في الزواج, فكم من رجل "أعطى" ابنته لثري لم يمتلك خلقاً فأذلها بماله, وكم من مطلقه أجبرت على التجرد من مهر و"عفش" ومؤخر ونفقة وحتى دفعت فوق ذلك عندما وقعت في رجل يعرف محامياً خبيثاً, وكم من اختيار صحيح بين طرفين لم تكن الالتزامات المادية سبباً يوماً ما في استمرار علاقتهم.

وان مثل هذا النموذج ليس بدعة في الكون, فلقد عرف الغرب هذه الثورة, التي اسموها جنسية, قبلنا واخترعوا نموذجاً مشابهاً لهذا الطرح, حيث أصبح من المقبول لشابين ان يرتبطا تحت عنوان (relationship) يكون المجتمع (الأصدقاء والأهل) على علم به, ويكون الطرفين ملتزمان ومخلصين (كزوجين) لبعضهما وان تطورت العلاقة فيمكن ان يسجل ذلك قانونياً بإشهار زواج.

الأمل في تطبيق هذا المفهوم على مستوى المجتمع كله؟

الحكاية كلها حكاية ثورة, حكاية جيل سيتمرّد على نظم بالية, حكاية شباب وبنات سيكون عندهم القدرة ان يطرحوا الفكرة على الناس بقوة, حكاية بنت شجاعة ستتحدث مع أهلها عنها, و ولد جري سيطلبها من بنت أحبها لن يخشى من نفورها منه, حكاية جيل لا يرضى ان ينزّوج (عرفياً) في السر, ولا يرضى ان يعيش في الحرام او في ظلام الالم النفسي والجنسي في أفضل أوقات عمره, حكاية قانون سيعاد تشكيله ليشجع على هذا الاختراع الاجتماعي, وحكاية اباء سيسمحون -في نهاية الأمر- لصنم أجدادهم, ان يتحطم ويعبر ابنائهم من فوقه.

(25)

القصص

كيف يتوهم انسان ان هناك قفصا, ثم يقنع نفسه انه يدخله ليقن في النهاية انه لا يستطيع مغادرته

كيف يمكن لمثل هذه الاسطورة ان تروّج وان تجد لها بائعين ومشتريين بهذه الكثافة ما الذي يدفع انسان الى ممارسة مثل هذا القمع على عقله وملكات طموحه لكل أسطورة بداية, وبداية هذه الاسطورة عند خط النهاية التي تضعه لسباق احلامك لا يهم طول السباق التي اخترت مطارده في حياتك, لكن لكل من أنتهى الى "القفص" خط نهايته الخاص, يتوقف بعد هذا الخط احيانا على موضع خطة بداية امتلاك الشخص لهدف يجري وراءه

يتوقف ايضا على ايمانه بهذا الهدف وايمانه اصلا بنفسه وباستحقاقه ان يكون له هدف يواصل الايمان به

تكون نقطة النهاية, هي الوقت الذي يقرر فيه الشخص ان السباق يجب ان ينتهي هنا, يحاول اقناع نفسه ان عمره لم يعد يسمح بمزيد من الجري, وان هذا وقت "الاستقرار" الطبيعي, يحاول ان يرسم لعينه صورته وقد عجز بدنه الثلاثيني او الاربعيني او العشريني احيانا ! عن المزيد من العطاء لمدار المنافسة فعليه اذن الانتقال لحارة المشاة, أو لربما اقتنع ان "بشريته" قد ألهمها الله اشباعا ما يغنيها عن المواصلة, او قد يلجأ الى حل تقليدي في حاجة بيته او عمله الى امتلاك شخص لا يطارده شيئا سريعا ! فهذا سلوك ضار جدا بالأسرة وال"كاريير" .

اذن لسبب او لأخر, ارفع يدي واخفض من سرعتي واتقدم بصدري بانتشاء المنتصر, لقد حققت ما اتمناه وقطعت شريط النهاية, لقد انتهى سبقي وحن وقت رسم "المستقبل"! هذه اللحظة الانسب للانقضاء على فريسة جديدة تتلف لان تلتهمها أو هام الاسطورة, يتقدم الضحايا السابقون المتشفون في الضحية الجديدة وفي ايديهم الهيكل الذهبي للقفص المناسب لك ! انه ذلك المكان الامن الذي ستستريح فيه وتحظى بنعيم "مستقر" بين حديده المتين الذي لن يفلتك لتضيع في العالم الموحش بالخارج

المكان الذي الحوا عليك في الحديث عنه وانت تصارع تلك اللحظات قبل ان تستسلم للإبطاء من سرعتك, هذا هو الوعد الذي حسم قرارك بالتوقف اخيرا عن الجري, المكان الذي جذبك بريقه من على بعد وهو يلوح لك براية الوصول ويمنيك

المدهش في الاسطورة, هو ان ليس هناك من يخدعك, لفظيا على الاقل, فالجميع من حولك سيقولون لك, هذا "قفص", والاكثر ادهاشا هو سخريتهم منك وهم يقدمونه لك وهم يروك ويساعدوك ان تدخله ! ولا يكفون بذكر ذلك أمامك علانية وسرا ! "انه القفص" ينادونك دون ان يتبعوها بتحذير او تنبيه, فهم يعرفون جيدا انك مثلهم طالما رأيت بريق ذهبه فأنت ذاهب اليه لا محالة , أنت ايها الخارج من السباق, الذي استلم رايه النهاية طواعية

يأخذ القفص اشكالا كثيرة, فهي الكلية التي تعرف انك ستمضي في جنباتها سبع سنوات دراسة تتبعها بأعداد مشابهة من المزيد من الدراسة تبني فيها قفصك الامن قطعة قطعة منذ نعومة شبابك وصحته ! , وهي المرحلة الوظيفية التي ستقرر فيها انه قد حان الوقت ان "اثبت" قدمي في الشركة والمجال وان مسارات الدنيا يجب ان تلتقي هنا في الطريق الى "كارييري", أو هو المثال التقليدي والتشبيه الأشهر بينهم , قفص الزوجية, والذي يجب ان نفرده له موقعا منفردا لحديث عنه مختلفا !

قفص الزوجية, هو القفص الالهم والأمن في تاريخ الانسان المستسلم, وقد ابدع من انتج سيكولوجية هذا القفص, حيث صنعه من فولاذ يقتل في كميات عظيمة من البشر كل حياة لأمل او لطموح من الخروج منه, والذين يسعون الى تملك وسكن هذا القفص يعلمون جيدا انه سيعطيهم الامان الذي سيوفر عليهم اي عناء مستقبلي لأي محاولات ولو عابرة لتعديل المسار, انها الراحة المستقرة التي يدمنونها.

لن أحدثك عن الزواج وتفاصيله في حد ذاتها, فلقد افرد لها اجزاء اخرى من الاسطورة, لكن دعنا نتحدث هنا عن ما يخصنا من كل ذلك وبطريقة مختلفة.

لماذا هو الزواج قفص كما يؤمن أغلب "مرتكبيه" ؟

هل يمكنك ان تعيد التفكير في الزواج على انه فرصة للرجل و المرأة نحو مزيد من الحرية ؟ سيدفعون اليك طبعاً بالاتهام الباطل ان المسؤولية نقيض للحرية ! , وان تحمل طرف الرجل او المرأة لمسئوليات الطرف الاخر او مسئوليات الأسرة هو الطريق نحو القفص, نحو سحب تراخيص الحرية من الطرفين

ومع ذلك تسمع أحيانا عبارة " الحرية مسئولية" وان المجتمعات التي توهب قدرا واسعا من الحرية, يجب ان تمارس المسؤولية بشكل أفضل على المستوى الفردي من المجتمعات المهيمن عليها ! والتي تتقلص فيه مسئوليات الفرد حتى تنكفي على نفسه تماما ويترك الاخرون للقانون المهيمن او الحاكم المستبد

لماذا تسقط المقارنة اذن في قضية الزواج!؟

هل يمكنك ان تنظر للزواج, على انه فرصة للطرفين للتخلص من قيود "أسرة الأهل" الى حرية أسرتهما الناشئة التي سوف يستعيضون فيها اوقات وتكليفات لم يختاروها الى اوقات سيختارونها ويعيشوها سويا, او على انه فرصة للتخلص من قيود النفس العاطفية و الفيزيائية ! التي عطلت وعكرت صفو الحياة وحرمتهم الاستمتاع بكثير لحظاتها دون تكدير مراهقة البحث عن متع الحب والجسد بأشكالها المنقوصة, اليس قيد الرجل أكثر حرية مع الزوج الذي تختاره البنت من جيلها افضل من قيد أبيها

أرى المشكلة بالتأكيد في تصورات العلاقة الزوجية والتزاماتها ومنظومة الحقوق والواجبات , وما يصح او لا يصح بين الرجل و زوجته ونمط التغير في حياتهما الشخصية بعد الزواج, لعل هذا هو العامل الرئيسي الفارق, فإما ان يبني الزواج على انه القفص الذي اختاروا ان يحبسوا فيه سويا وقد اسسوا تفاصيله بداية من العفش الى مدرسة الاولاد, واما ان يبني على قواعد اخرى غير التي اعتدها سكان "الاقفاص" من حولنا, قواعد تكفر بمعتقدات مغلوطة عن (المؤخر!) و البيت و الاطفال و العمل و العلاقات الاجتماعية وتضعها في صور تقديس معاني الحرية وتصبو اليها.

(26)

الغرب الكافر

I do not feel that we should set up people as "models"; rather
".actions, thoughts, principles

Noam Chomsky

" لا أشعر اننا يجب ان نتعامل مع الناس ك"قوالب" ولكن كأفعال وأفكار ومبادئ"

نعوم تشومسكي

نعم, لقد جاء اليوم الذي اقرر فيه انا الشاب المصري المتزن العاقل المشهود له بالاحترام والوقار والسمت الهادئ ان ارتدي (حظاظة) اينعم (حظاظة) بكل ما تحمله الكلمة من معنى مباشر و اثر غير مباشر, هذا الاختراع الذي يلتف على المعصم كوسيلة للتزين الملبسي والذي يستخدم بشكل يثير كثير من الريبة في نفوس عامة الناس, لكن هذا الفعل لم يكن تصرف اهورج من شاب مفتون اجتماعيا قرر "فجأة" ان يعيش اللحظة, انما كان فرصة لاكتشاف جديد بداخل وجدان المجتمع المصري.

ان اعتياد "قولبة" الناس ليس حالا غريبا على الطبيعة البشرية, فالإنسان يعرف اولويات حياته ويمارس اغلب ضرورات عيشه و مهنته في صور "مقولبة" وتظل الطريقة الاسهل له في التعلم هي القياس على مشابه, ويحمل عموم الناس نفس الطريقة التي اعتدوها في العمل والتعلم الى مجال التواصل الاجتماعي, فالمجتمع الخارجي الذي يتعامل معه الانسان التقليدي يجب ان يقسم الى قوالب وكل من يقابلهم في حياته يتحتم عليه ان يسكنهم في اياها, بتلقائية غير واعية يقوم بتصنيف هذه الى المنحلات, وهذا الى المتشددين, وذلك اقرب الى موظفي الحكومة, وذاك من الشباب النافه, وهذا أمه "جيبهاله" وهذه أبوها "مربهاش", هناك خانوات في عقله يجب ان تستوعب كل من يعاملهم او يمر على اطيافهم.

الخطر فعلا عند تملك هذه العقلية لنفسية تشعر بالدونية عن من حولها, وتتضاعف الخطورة عندما نتحدث عن أمة بأسرها تشعر بالدونية عن أمم أخرى في وقت قد سيطرت "القولبة" على المنهج الفكري لدى ابنائها في الحكم على الناس.

العرب على مدار أجيال متتالية من الاضمحلال توارثوا شرح نفسي عميق جعلهم على قناعة ان العجم على قدر أعلى من الرقي الانساني الفطري مننا نحن العرب, فالرجل العربي مهما علت درجته بين ابناء عربوته فهو يشعر باننقص امام الاجنبي الذي ولد وعاش واكتسب جنسية وأصول غربية. سواء ابيضت بشرته ام اسودت, فالعنصرية هنا هي عنصرية انتماء لا لغة ولا جنس ولا لون, انما العربي يشعر -في قرارة نفسه- ان انتمائه لهذه البقعة من الارض والتاريخ كافي ان ينتقص من قيمته كبني ادم لصالح كل منتمي لبلاد اخرى أعز قدرا.

لكن هي هي روح العربي, تأبى اكمال هذا المعنى من الدونية, او دعنا نقول ان روح العربي تكره هذه الصورة من الدونية رغم قناعاته بوجودها. سوف يلجئ اذن الى سياسة نفسية تحاول تسكين وجع الدونية عنده وتعتمد على خلق فكرتين من اصل مريض.

الفكرة الاولى تحاول استرجاع اثر الماضي واللعب على وتر الاصل, نفس الفكرة تفتت في مجتمعات العرب الجاهلية ايضا, حين كانت جلساتهم الشعرية لاسترجاع أمجاد اجدادهم والتي لم تتعد حروب قامت وقعدت على سخافات, ورغم تخلف عرب الجاهلية عن باقي الامم ممن حولهم حضاريا الا ان هذه الفكرة اسكرتهم, وبالمثل فان عرب الجاهلية الحديثة في عصرنا يحاولون ان يستخفوا من تأخرهم عن الغرب بخدع التاريخ التي نعتقد بها اننا وان تخلفنا اليوم فان تاريخ اجدادنا يشفع لنا, فهؤلاء -الغرب- بلا تاريخ حضاري, انهم حضارات ناشئة, قد ساد اجدادنا اجدادهم ثم نرفع رأسنا فخرا, وكذلك فنحن ارض الانبياء ومهد الرسالات فنحن وان هزم قدرنا الانساني اليوم فيكفيانا اننا نتفوق انسانيا عن الغرب بما نمتلك من صفحات التاريخ.

وعلى الرغم من سخافة اصل الفكرة المبنية على التفاخر بأفعال الغير, فالمعنى المطلوب علاجه هنا هو الشعور بالدونية او التفوق الانساني, فأنت كفرد في المجتمع لا يحق لأحد ان يصفك بالدونية عن نظير لك يعيش في بلاد تقدمت عن بلادك, هذا وان صح وصف مجتمع بالترقي عن اخر, فان الانسان مكرم بحسب ما يفعله اليوم والان فقط وطالما استمرت فيه الروح فهو يمتلك فرصة متساوية مع باقي البشر في الترقى الانساني الذي لا يعرف الا نقاء و رقي شعورك وعطائك بالدنيا, وعندما خلقك الله جعل لك الارض كلها محل للهجرة, فان لم تعرف طريقا للترقي بمجتمعك فأرض الله واسعة, ويظل قدرك بين البشر بقدر عطائك المفيد بينهم.

اما الفكرة الثانية التي خلقها العربي هي محاولة تشويه ترقى المجتمع الغربي وهكذا يكتمل الوهم المقنع, فرغم جلاء التقدم والرقي في مجتمعات ارسن اسس العلم والحرية والعدالة, فالحل عند النفس المريضة هنا ان تلصق اتهامات مشينة لهذه المجتمعات يمتلك هو بالطبع مقابلها من صفات فاضلة, فرسمت في اذهان الاجيال الناشئة من العرب ان الغرب هذا مجتمع غير سعيد, مليء بالفراغ النفسي ويشيع فيه الاكتئاب ومحاولات الانتحار, انهم مجتمع مادي اجوف, بانسين لا يعرفون هدفا لحياتهم وغارقين في لذاتهم, وهم ايضا مجتمع مفكك ضاعت فيه المعاني الاسرية والروابط الاجتماعية, وطبعا يجب ان يخرج الكبت الجنسي عند العربي في اوصاف مثل انها مجتمعات منحلة تفتت فيها المنكرات والشذوذ والاباحية والقائمة الطويلة التي تجعل من العربي (كريم العنصرين) يشتمز من تلکم المجتمعات.

يمكننا ان نفرّد هنا صفحات مطولة تتحدث عن حالة الانكار التي تجعل القائلين بمثل ذلك يتناسون ان مثل هذه التهم تعج ببلادهم -العربية- ولعلها بمعدلات اكثر من نظيرتها في المجتمعات الغربية ولكنها مخبئة تحت ستار مجتمع "خجول" من مشاكله ومتستر على جرائمه, وكل اصابع الاتهام تلك انما هي -لِلناظر المحق- موجهة الى مجتمعاتهم المنتكسة ليس الى تلك المجتمعات التي تعيش السعادة وتنتج الحضارة المادية والمعنوية ايضا, ولكن هذا ليس موضعا لمحاولة الدفاع عن تلك الحقائق الجلية, فلم يكن المطلوب هنا ضغط على وتر الخضوع الحضاري أو اعتراف بهزيمة م, ان يجدى.

الدعوة هنا الى نبذ هذا الاسلوب الدفاعي المقيت بتشويه الخصم, الدعوة هنا لنبذ مفهوم "الخصم" في الاصل من المعادلة, ان شعور العداة والتنافسية في حد ذاته هو شعور مرضي. الاصل في الانسانية هو الاخوة وحقيقة اختلافهم في تعارفهم وتكاملهم, ومفهوم "win-win" او الكسب المتبادل هو الخيار الوحيد للناجحين والسعداء في هذا العالم.

لا تلجأ الى الحل السهل وتقعدي الى شعورك بالهزيمة الانسانية سواء بتشويه حاضرك باسترجاع ماضي لا تملك حق فيه او بتشويه غيرك لتكتب لنفسك الافضية عليه, اخرج من معادلة المقارنة المقيتة. وجب على الاجيال القادمة التي فتحت عيونها على "قرية صغيرة" اقترب فيه العالم وتداخل اكثر من اي وقت مضى ان تذيب الفوارق بين البشر وتكون صورة مجتمعاتها المحلية ونظيراتها العالمية مجرد تجارب سابقة صالحة للتعلم وليست واجبة الاتباع او منتظرة التكرار. انك لن تستطيع ان تتخلص من هذا الصنم الفكري الا بالخروج نهائيا بعقلك من اطر "قولبة" البشر, انظر الى البشر ووصافهم بقدر اكبر من البساطة التي لا تستدعي احكام اضافية ظاهرية على شخوصهم, المرة القادمة التي تجد فيها صديق لك يرتدي "فجأة" في يده (حظاظه) لا توجه اليه تلك النظرة المستنكرة, ان وجدتي صديقتك "فجأة" قد ارتديت (حجاب) فلا تشعريها بفرحة دخولها في قالب من احكام مخك المختلفة أخيرا, ان رأيت صديقك السلفي يوما قد حلق لحيته فاستسمحك ان لا أرى في عينك تلك النظرة المركبة التي تطرده بها من قالب وتودي به الى اخر, البشر ومجتمعاتهم مخلوقات اكرم من ان يكونوا قوالب تنكرر بل هم مدارس للتعلم.

(26)

اسر اطين

"هي غلطة وفات زمانها كلنا بندفع ثمنها...."

والقضية.... مفيش قضية "

"نحلم ايه؟"- كلمات بهاء الدين محمد 2000

شهدت جزيرة تيكسيل الهولندية يوم العشرين من مايو 1945 اخر معركة أوروبية في الحرب العالمية الثانية, وبعد أسبوعين من هذا التاريخ أعلن الحلفاء هزيمة المانيا لتضع الحرب اوزارها تاركة خلفها 75 مليون قتيل والاف المدن والقرى المدمرة وعدة دويلات محتلة, قنبلتين نوويتين, وفوق كل هذه المخلفات من الحرب الاكبر في تاريخ العالم, كانت الاثار النفسية المجتمعية التي اصابت من بقي من سكان العالم واوروبا بالاحص بعد كل هذه الجرائم التي ارتكبتها اطراف الحرب, تلك المشاعر التي سكنت الدول التي احتلت وضربت بالقنابل النووية وتلك الارواح التي ازهقت بدون ذنب, وكان الامر كذلك اكبر صفة استفاقة لأوروبا كانت كافية لإيقاظها وتعديل مسارها الحضاري التاريخي.

لم يمض عامان على الحرب وتم الاعلان عن انشاء الحركة الاوروبية العالمية EMI 1947 كخطوة أولى لتوحيد اوروبا, اتبعها بعد عامين انشاء جامعة أوروبا في بلجيكا 1949, ثم عامين اخريين لإنشاء الجماعة الاوروبية للفحم والصلب 1951 التي مهدت الطريق لإنشاء السوق الاوروبية المشتركة EEC وتوقيع اتفاقية روما 1957. لتشهد مدينة ماستريخت الهولندية في فبراير 1992 اعلان انشاء منظمة الاتحاد الاوروبي, التي استطاعت الغاء الحدود بين 5 دول اعضاء في الاتحاد تزايد عددهم اليوم الى 26 دولة يتجول بينهم 400 مليون مواطن في مساحة 4 مليون متر مربع.

نعم, تستطيع ان ترى اثار "الصفعة" على وجه اوروبا اليوم خلف سعر اليورو بين العملات, خلف تقدم الصناعات والسلع الاوروبية وخلف بطولات كرة القدم, وارقام أعداد المهاجرين من اطراف

الدنيا الى بلاد الغرب الاوروبي, تبصر بوضوح اصابع كف الحرب العالمية وما سبقها من حروب اوروبية ظاهرا جليا, لقد تعلم هؤلاء الدرس جيدا.

حصة الرسم, المنفذ الاول والاخير للتعبير الحر عن افكار طفولتنا, أول لوحة كانت حرب 73, أول وجه كان للجندي (الاسرائيلي), كان أول قبح حاول ذهني و يدي الصغيرة تصويره, بعد اعوام صعدت للمرحلة الاعدادية وكانت تجربتي الاولى للاستماع الى أغنية على جهاز (الوالكمان) مع الاوبريت العربي الأشهر (الحلم العربي). تشربنا القضية من أعلى عقولنا الى اغمص أقدامنا التي سارت في مظاهرات الانتفاضة الاولى بعدها بشهور قليلة, أما عن اولى مراحل النضج والبحث عن الذات والهدف من الحياة فكانت ورقة علقتها بغرفتي استعدادا لدخول الكلية في بدايات غزو العراق مارس 2003, ولأول مرة اكتب هدف حياتي امام عيني "صناعة صواريخ رادعة تحمي الأمة".

مختلف الطرق كانت تحاول ان تكوّن هذا الكائن المخيف, العدو الاسرائيلي, المدرسة, المسجد, البيت, الحكومة وكذلك المعارضة, الجميع اتفقوا رغم خلافهم الدائم على شيء واحد, عدونا الازلي وحلمنا الابدبي بهزيمته, امنيتنا العظمى بشهادة على أبواب النصر عليه, اما وقد كانت غايتنا في الدنيا الجنة باتباع الدين فقد كانت ذروة سنام هذا الدين, هي الجهاد, والجهاد يعني العدو, يعني الشهادة على اعتاب الأقصى, الحلقة المغلقة, هكذا فهمنا اذن أول الحياة واخرها, واين تقع حدود احلامنا في قضية الامة المصيرية التي سنعيش من اجلها وستنتهي الدنيا بعلماتها, حين يحارب المسلمون اليهود, ويقول الحجر, يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعالى فاقتله, وضعت غايتي في الدنيا بين قوسين, طرف فيه وجه جندي اسرائيلي قبيح باللون الاخضر و بالأخر الحجر المتكلم الذي اتحرك من خلفه لأسدد طعنة نافذة بصدرة.

هي القضية الفلسطينية, ثمانون عاما من الاغتصاب, انتقلت العروس من قبضة السلطان العثماني للمستعمر الإنجليزي لملوك الخيانة فاروق و حسين, بين منظمة التحرير لحركة فتح لحكومة حماس, بين عبد الناصر الذي سيلقى بإسرائيل في البحر لمبارك صاحب الطلعة الجوية والسلام ايضا, بين أسلمة الاخوان وقومية الاثراكيين, استنزفت القضية الى اخر رفق من كل ذي مطمع وغاية رخيصة, الكل ساقها وسوّقها لخدمته والكل انتفع قدر ما استطاعت يداه وصولا ولسانه تزويرا. ولا زالت القضية بلا حل و لازل حالها بيننا كما هو بنفس عشم الامل و كسرة العجز, و الورقة المطروحة تتقلب على وجهيها بين مفاوضات دولة سرايبه و نيل شرف مقاومة عبثية.

يطرح (جلال أمين) تفسير مهم في كتابه (قصة الاقتصاد المصري) عن ارتباط دوافع العدوان الثلاثي على مصر بخطوات التنمية الاقتصادية التي بدأها (جمال عبد الناصر), يتوافق مع تحليلات اخرى لعديد من الحروب والنزاعات الاقليمية التي حدثت على مدار التاريخ الحديث مثل ما حدث في (دارفور) او (العراق) او الصراع الهندي الباكستاني, حيث يفترض وقوف دوافع اقتصادية بحته خلف هذه الاحداث العسكرية, حيث تم توظيف الخلافات العرقية و الصراع الديني للتشويش على حقيقة العملية الاقتصادية المدارة خلف صورة الحدث.

وكان كذلك الصراع العربي-الاسرائيلي المادة الخام الغنية لإدارة سياسة المنطقة العربية, واصبحت القضية الفلسطينية العملة الصعبة للضغط والتفاوض, اشغال الراي العام وتوجيه سياسات دول الجوار بالأخص التي ارتبطت حدودها عسكريا بالكيان الاسرائيلي. وهكذا اصبح وجود اسرائيل والحرب المرتقبة معها ضرورة متلازمة مع نظم الحكم, التي لن تعط الفرصة

لشعوبها لإعادة فتح أوراق الداخل وكشف الفساد السياسي و الاقتصادي والاجتماعي المتفشي في البلاد, فناقوس الحرب جاهز للانطلاق وقت الأزمة, ليعلو (صوت المعركة) على باقي الاصوات, وأصابع العدو ومؤمراته علينا مستعدة لتقديم العديد من التفسيرات المحرجة للأنظمة. هذا وان حاول يوما احد ساسة هذه النظم بإرادته الالتفات الى قضايا الداخل اكثر مما ينبغي له, استعمل ضده نفس السلاح من قوى الهيمنة الاقتصادية و انتهازي المعارضة ان وجدوا. فلطالما ظل وجدان المجتمع متشعبا بحمية القضية ومؤمنا بالمؤامرات الايدولوجية على ذاته الرفيعة, مسترخضا سعادة و رخاء مجتمعه بل وارواح ابنائه فدائنا لأهداف القضية الابدية.

الطرح الجديد هنا هو, كيف هي الحياة من غير (قضية فلسطينية), يا ترى كيف سيتشكل المناخ السياسي والاجتماعي في بلادنا؟, من هو العدو الذي سيرسمه الاطفال في لوحاتهم؟ ومن أين لنا بالمشاهد التلفزيونية المؤثرة التي تنمي مشاعر الغضب والحقد وكسرة النفس بداخلنا؟ كيف سندخل الجنة اذن ان لم نستشهد على أبواب الاقصى؟! , ما هي القضية الخارجية المهمة التي سوف تتسببنا الام داخلنا القومي؟ على من سيغني أهل الحب حين يريدون تغيير ال"تون" ومن اين لأصحاب المنابر الصاخبة ببطولة الكلام والورق! , بم تفكر الأمم التي لا تستعد الى حروب ومعارك؟ وما نوع السياسيين الذين يبرزون في مثل هذه الدول؟ واي نوع من الدعاية سيستخدمونها اذا؟ وما هو الباب الذي سيجده التدخل الاجنبي لنشر نفوذه ببلادنا؟

هدف هذا التمرين التخيلي, الذي أطلب منك ان تمارسه, ان تبدأ في التعرف على المستفيدين الحقيقيين, في الداخل المصري, من استمرار الصراع العربي-الاسرائيلي الى ما لانهاية, اذا كنت تبحث عن مخرج جديد للقضية, فيجب ان تعيد طرحها من منظور مختلف, هناك شبكة مصالح متنوعة يهتمها استمرار هذا الصراع لتحقيق مكاسب اجتماعية واقتصادية وسياسية من وراءه, هؤلاء هم أول المصدرين لفكرة ان الصراع ديني بحت وانه لا فكاك منه الا بالحرب الشاملة التي لن تأتي ولن تتوقف مقدماتها, حرب متخيلة تجعلهم هم ومصالحهم باقون بالتبعية معها, هؤلاء الذين لا يعرفون طريقا اخر لإقناع الناس بجذوى وجودهم على الساحة الاجتماعية والسياسية غير الدفع بهذا الصراع, تلك الاطراف لا توجد في مصر فقط, انما في الاصل هي الاطراف المهمة على الداخل الفلسطيني و الاسرائيلي كذلك, دوران عجلة الحرب هي الداعم الرئيسي لبقائهم في صدارة المشاهد الاجتماعية والسياسية هنالك.

تعلمت الشعوب الغربية هذا المفهوم, وبدأوا في تجاهل أصحاب تلك الدعوات والواقفين خلف هذه المصالح, الحروب الاوروبية الطويلة انتهاء بالحرب العالمية الثانية كانت مفتاحا لدرسين وقفا خلف النهضة الغربية الحديثة, أولهما كان ادراك التناقض الحتمي بين الحروب والرخاء, وان حالة الحرب هي وسيلة لاعتلاء نظام حكم سلطوي ضد مصلحة العامة تنتهي باستنزاف موارد الأمة وصد مسارات رخاء المجتمع, أما الثاني فكان حول كيفية ايقاف دوافع الحروب, وكيف ان تعايش الأمم وتقبلها أمر ممكن رغم اختلافها ورغم سوء ماضيها المشترك, ان الانسانية تقدر على تجاوز خلافاتها بالطرق السلمية, وان تكامل المجتمعات هو الضامن لحفاظها على العيش الكريم, وان الاقتتال دائرة دم مغلقة لن يفلح من رأى فيها طريقة للحل.

وكذلك هذا الطرح الذي سأقدمه هنا مخالف لأصنام الفكر السياسي الأممي التي شربناها منذ طفولتنا, طرح يبني على رفض الحرب كحل للقضية الفلسطينية, وتقديم شكل مختلف من التكامل كبديل.

في البداية, سأطلب منك ان تقف على الجانب الاخر من القضية, هل فكرت يوما كيف يفكر الشباب الاسرائيلي العادي بالقضية الفلسطينية؟, تخيل نفسك الان وقد ولدت لوالدين إسرائيليين مثلا في عام 93 مع اتفاقية أوسلو, لم تذكر من طفولتك من احداث عنف غير مشاهد متقطعة من الانتفاضة الثانية في طفولتك, ثم كبرت في مجتمع هادئ مثل "ايلات" لا تكاد تذكر حالات لسقوط صواريخ بالبلدة التي تسكنها, لم تشهد في شبابك حرب, وتلقى تعليم واعلام وتربية أسرة ترسخ في ذهنك ان هذه أرضك وأرض اجدادك, وان أهلك يعملون ويتعبون من أجل ان يعيشون فيها, وتذهب الى جامعة "تل أبيب" فتتعرف أكثر عن الصراع من حولك وعن الحياة في غزة والضفة ومطالب الفلسطينيين لكن بشكل عام فان وجهة النظر التي تكتسبها في صالح اسرائيل وضد التعديت الغير عادلة والمطالب الغير مستحقة من العرب.

تصور ان هذه هي العقلية الأرجح للشباب الاسرائيلي, هم ليسوا وحوشا بالفطرة, هم شباب مثلي ومثلك لهم آمال في الحياة والسفر والتعلم والعائلة, يحبون ان يضيفوا الى العالم وينفخوا بلدهم ويثبتون ذواتهم, يودون – كأى بشر – ان يعيشون في سلام وامان حيث يجدون السعادة في الحياة والرخاء في العيش, هؤلاء لم يشاركوا في مذابح (دير ياسين) ولا عاشوا اجواء الحروب العربية الكبرى, نسبة قليلة منهم هي التي شاركت في عمليات عسكرية بغزة, وهم أنفسهم من انفتحوا مثلك على العالم وتعرفوا على أفلامهم وفرقة الموسيقى و احبوا الترحال فيه والتعرف والتعلم من الاخرون, هم يبحثون كذلك عن حل لحالة الحرب, يريدون مستقبل بلا خطر, وبلد امن وسط جيران محبين, كبشر يريدون السعادة والسلام مثلك ايضا.

اتركك مع نفسك للحظات, قف هناك مع هذا الشاب العادي, حاول ان تتخيل بما يشعر وكيف يعيش, كيف تفضل ان يفكر فيك انت على الطرف الاخر؟ ما هي نظرتة لحاله وللمستقبله ولبلاده؟ ثم دعنا نتحدث عن نموذج للتكامل, فلنعد مرة أخرى الى اوروبا,

كيف تمكنت بلاد مثل فرنسا وبولندا والمانيا ان تتعايش اليوم في اتحاد اوروبي موحد؟! حيث حرية الحركة والتبادل التجاري والثقافي الواسعة, في حين لو رجعت بالتاريخ أقل من 70 عام, تجد ان ملايين السكان قد قتلوا خلال الحرب العالمية بين تلك البلاد, منهم 6 ملايين بولندي فقط خلال الاحتلال النازي أي ما يعادل 60 ضعف اجمالي قتلى الصراع العربي الاسرائيلي منذ نشأته, وان مدن مثل الزاس-لوغين (Alsace-Lorraine) بفرنسا و سنتشين (Szczecin) ببولندا هي أراضي المانية محتلة من بلدين يعتمد اقتصادهما اليوم هم وغيرهم من بلدان الاتحاد الاوروبي بشكل او باخر اليوم على قوة الاقتصاد الالمانى, لكن هذه الشعوب قد تجاوزت كل هذا, والالمان لم يفكروا في مطاردة تلك الملكيات – مع استطاعتهم – لانهم قدروا قيمة التعايش السلمى, وادركوا ان ارواح البشر ومن ثم اتحاد الشعوب ورخائها أولى من الحدود, وانه لا يضير الالمانى ان يسترجع بيت اجداده في "سنتشين" عندما يصبح بإمكانه ان يدخله امانا مطمئنا ويسمح له بالبيع والشراء بها كمواطن أوروبي حر, ادركت الحكومة الالمانية ان الأرجح من مطالبة روسيا برد بلد الفيلسوف الالمانى الاشهر (كانط) التي احتلت كذلك وتغير اسمها (كالينجراد) (Königsberg/ Kaliningrad) هو أن يتحقق للمواطن الالمانى الرخاء والاقتدار العلمى والعملى الذى سيجعل (كالينجراد) وغيرها من بلدان أوروبا تسعى لان يدخلها الالمانى مالكا او عاملا او سائحا.

يا ترى لو اعدنا التفكير في القضية الفلسطينية بدون تخيل الشيطان الاسرائيلي بوحشيته ومجازره ودباباته, هل سيكون هناك فرصة لتصوير جديد لحل القضية؟
هل يمكن ان نقدم لرؤية الحوار معهم شيئا غير الزوال والفناء الحتمي؟
هل بوسعنا ان حلم بمستقبل حلم به الأوربيين منذ 70 عام؟
هل هناك طرح اذن, يعتقد في التكامل بشكل مختلف كحل ممكن
خيار الدولة الواحدة ثنائية القومية, الذي اتفقت فتح "المفاوضة" وحماس "المقاتلة" على رفضه,
هل يمكن اعادة صياغته وتسويقه مرة أخرى على يد حركات سياسية شابة جديدة تظهر بالداخل الفلسطيني.

أتحدث هنا عن ثورة سلمية, ثورة ابداعية مبتكرة ينظمها شباب فلسطيني سلمي, يتحرك بقائمة مطالب لم يسمع بها العالم المنشغل بالقضية الفلسطينية من قبل يتشاركون فيها مع مجموعات شبابية مناظرة على الجانب الاسرائيلي, على قائمة المطالب يأتي اجراء تعديلات على قانون الجنسية 5712 الصادر عام 1952 وقانون المواطنة 5763 الصادر عام 2003 لتوسيع نطاق الجنسية الاسرائيلية ومنحها لجميع قاطني الاراضي الفلسطينية والاسرائيلية, ثم اجراء استفتاء على تعديل الدستور ليميل الى علمانية الدولة ونبد التفرقة العنصرية واعطاء حقوق متساوية للمشاركة السياسية والاحتكام للقانون.

أرى في تحقيق مثل هذا "الحلم" ما هو أقوى وأنفع من الف حرب والف انتصار, ان تحقق مثل هذا الحل "السلمي" الذي يمهد الطريق للفلسطينيين ان يذوقوا طعم وطن يعيشون فيه كرماء أحرار, لهم حقوق وعليهم واجبات, يشعرون فيه أخيرا بمعنى الأمل في المستقبل والرغبة في الحياة.

ان مثل هذا الحل هو طريق نضال طويل بالتأكيد, يبدأ من تكوين الفكرة والوعي لدى تيار فلسطيني شاب, قد يكافح سنينا حتى ينمو ويقوى, ثم يطول النضال في صراع مع قوى الداخل الفلسطيني الاجتماعية والسياسية ثم مع الجانب الاسرائيلي, ثم مع تدويل القضية "الحقوقية السلمية" ثم مع تدريج المطالب وتصعيدها وتحقيق المكاسب النسبية المتتالية, لكن مستقبل مثل هذا الصراع يمكن تصور قبوله وحدوثه, الوعي العام لعالمنا المنفتح الجديد, تشوق الاجيال الجديدة للحياة والتعايش والابتكار أقوى أساس للوثوق بإمكانية حدوث هذا التصور, حب الحياة ورفض العنف والاقتيال هو الدافع وراء توقع تحقق مثل هذا الحلم عن دونه من الحلول العسكرية.

في الحقيقة ان هذا الطرح ليس بدعا من الخيال, فبالرجوع الى التعداد الرسمي لسكان اسرائيل للعام 2006 فان هناك بالفعل اكثر من مليون ونصف عربي يمثلون خمس المجتمع الاسرائيلي, وان تقريرا اسرائيلي افاد بان هناك 3 الاف مقدسي حصلوا على الجنسية الإسرائيلية فيما بين 2004 الى 2012 ليصل التعداد التقريبي للمقدسين الحاصلين على الجنسية الى اكثر من 10 الاف من بين 280 الف مقدسي يعيشون في قلب موطن صراع الهوية والحدود. * المصدر جريدة القدس العربي - وليد عوض اكتوبر 2012

نعم, معسكرات الرفض لطريقة تفكير مثل هذه اليوم أقوى, لكنها تضعف, أهل أطروحات الثأر والهوية سوف يتساقطون مع الأيام وتلفظهم الاجيال القادمة, مع الوقت ستتكشف عبثية دوائرهم المغلقة وصراعتهم البالية, مع الوقت سيدرك الجميع ان الثأر هو اشتباك فكري لن تفضله الا دولة القانون "تحاول" اقامة العدل, وان صراع الهوية هو عصبية فارغة في عالم يتداخل بسرعة

جنونية تغير يوماً بعد يوم من رؤية وتعريف معنى الهوية و معايير قبولها وتطبيقها في حياتنا. ولعل معسكرات الرفض الاجتماعية هي الأصعب, لكن المعسكرات السياسية ستقاتل ضد مثل هذا الطرح الذي سيسلبها نقاط التميز النسبي التي منحها تفوق نسبي على قريناتها وستفقد ضد ان تأخذ الشعوب فرصة لاختيار سياسيون يطرحون اجندات الرخاء ايضا لا الأمن فقط. وأنا كمؤمن بضرورة زوال الحدود العربية وكذلك الحدود الاقليمية الافريقية والشرق اوسطية في مستقبل ما قريب, أرى حل الدولتين - حتى بافتراض جدلي بإمكانية حدوث تعايش لدولتين تنكران تخيلات افناء الاخر - ليس الخيار الافضل, وان تاريخ الصراع وتشكيل أهل التفاوض والمتحكمين في عرى السياسية حتى هذا اليوم لا يوحي بجدية تحقق حل الدولتين. بإمكانك -كعربي- ان ترى في هذا التفكير كما لا بأس به من سواد الانهزامية و الانبطاح الفكري و الاستسلام وقلة الرجولة وما الى ذلك من المرادفات, بإمكانك ان تقتنع بأي اطروحات أخرى ترضي كبريائك العربي, انا اتقبل ذلك, لكن أرجو منك ان تتخيل اثر تحقيق مثل هذا التصور, ارجوك تخيل المسلمين يشترون "سلميا" معظم أحياء القدس, ويرفعون دعوى قضائية ضد "نتنياهو", ويعطو أذان مساجدهم في "ايلات", ان تتخيل أراضي فلسطين المقدسة مفتوحة للعالم كله للزيارة والتعبد, ان يتخلص عالمنا العربي من صراعه الازلي الابدوي, ويلتفت ابنائنا الى احلام الرخاء والحضارة والتقدم وتصدير قيمة بشرية حقيقة الى العالم الذي تأخرنا طويلا عن ركاب حضارته.

في احدى خطاباته العبتية, قام (معمر القذافي) بتقديم حل للقضية الفلسطينية و وضعه تحت اسم (دولة اسراطين) كدولة واحدة تضم القوميتين, لعل ظاهر الطرح وصاحبه وطريقة ومكان القاءه اتسموا بالعبتية, الا ان المضمون يتفق بشكل كبير مع ما عرض هنا, بالتأكيد قيمة هذا الحل ستكتسب من عمق صياغة الفكرة وقربها من معالجة معضلات القضية ونشأة وعي عام وحركات شبابية متبنيه لها, واتساع وامتداد وسائل العمل على تحقيقها, لكن كل ذلك لا يمنع ان الحكمة ممكن ان تؤخذ احيانا من أفواه المجانين.

(28)

الصنم:سواع

(630م)

تمتد جذور عبادتها (سواع) الى قوم (نوح) عليه السلام, كان لسواع تمثالا على شكل امرأة كأعظم ما تكون من النساء، وكانت امرأة كاملة العبادة, ولعلها كانت إلهة للخصوبة والجنس حيث أن اسمها يعني المذي في العربية.

ويقال انها مع (ود و يغوث و يعوق و نسرا) كانوا ابناء ل(ادم) صالحون في قومهم, وعندما ماتوا تكررت معهم قصة نشأة الصنم (ود)

المميز في قصة (سواع) انها تعرف بانها ليست من الالهة الكبيرة ! أو دعنا نقل الشهيرة في الجاهلية من التي يظهر اسمها في اسماء المواليد المركبة التي استخدمت كثيرا في هذه الفترة. والسؤال, لماذا ؟

لأن مجتمع (هزيل) وهي القبيلة التي استقر عندها الصنم بعد ان نبش عنه (عمرو بن لحي) من اثار طوفان (نوح) ثم وزعه على القبائل, كان مجتمع ضعيف يسكن ساحل (جدة) لم تذكر له صولات او جولات فلم يتبعهم احد في عبادة الهتهم, بعكس الهه قبيلة مثل (قريش), وهكذا كان قدر (سواع) المرآه العابدة الى ما يشبه النسيان كصنم ولد في مجتمع ضعيف على هامش المجتمعات.

(29)

فضيلة الشيخ

يعرف الخوف بانه هو الاحساس بالضعف النسبي امام مقابل, كخوفك من لص يفوقك تسليحا او من مستقبل يفوقك علما, واقتزن الخوف الانساني بالنزعة الى الحماية, وعلى قدر الفارق بين الخائف وخصمه او قدر أهمية الخائف عند نفسه او عند من حوله ترتقي درجات الحماية التي تحيطه.

المرجعية الدينية كانت ومازالت أهم العناصر المكونة للقوى الاجتماعية على مر العصور في مختلف النظم الشمولية, والفئات التي قدرت على التحكم في دفة المرجعية الدينية هي التي كتب لها السيطرة والتأثير الاكبر على تاريخ بلدها. تنوعت صور المرجعيات الدينية وطرق ادارتها في البلاد, ولقد عانت البشرية طويلا من تكرار الحالات التي كانت المرجعية الدينية فيها ضعيفة وسطحية انعكاسا لحال رجال الدين الذين شكلوها وعملوا على حمايتها.

الاسلام عمل منذ نشأته كمرجعية للدولة استندت على قوتها الذاتية فلم تلجأ الى سبل الحماية بل هاجمتها في النصوص التي سجلت مثل حوادث الايذاء – بغير عقاب- التي تعرض لها رأس المرجعية قبل وبعد انتصار الرسالة, وتتوجها ايه "والله يعصمك من الناس(سورة -المائدة)" التي رفعت عنه الحصانة في الدنيا, وعلى نفس الحال كان خلفائه الاولين فتعرض اغلظهم لهجوم امرأة وهو على منبره, ولم يسجل في ايام الرسالة الاولى مكانة اجتماعية خاصة او مميزة لحملة الوحي او حفاظ الحديث أو فقهاء الامة وقتها.

وجاءت بعد ذلك فترة انكسار دولة الاسلام, لتسقط مرجعيته فريسة في ايدي الكثير من رجال الدين الذين استمرت طرقهم تتوارثها النظم الاجتماعية الفاسدة, وكان (الشيخ) هو المنتج الاجتماعي الذي فرض على الناس, فضيلة الشيخ الذي سوف يلعب دوره التاريخي في خدمة اغراض اهل السياسة والمال وصناعة اصنام الفكر الحديدية التي تستمد قشرتها من صلب الدين.

البداية كانت في اتقان رسم شخصية (الشيخ) حيث اهتم نحات الصورة ان يبرز اكبر كم من التفاصيل التي تجعلها اولا مختلفة عن سائر صور الشخصيات المعتادة في المجتمع وثانيا ان تصبح صورة غير مرغوبة في التقليد, فانظر الى كل هذه التفاصيل والاهتمام الذي اغدق عليها, فالشيخ يجب ان يكون ذكر, ورغم ان دور النساء في علوم الدين في الرعيل الاول من الصحابة كان ملاحظا, الا انك لا تكاد ترى دورا للسيدات في الوعظ او الارشاد الديني اليوم فمن وجدت من شريط او كتاب في الدين صاحبه مؤنثة وكم هو استعدادك الشخصي للتلقي الديني من النساء, حتى من استطعن -مؤخرا- الانتشار ظلن في اطر ضيقة مشابهة هي كذلك بأوصاف معمة , ثم تجد في وصف ملابس هذا (الذكر) بالجلباب والحية, تعرف ذلك في حدة الهجوم الذي صاحب اختراع تصنيف "الدعاة الجدد" على الذين تمردوا على هذا الشكل, وكذلك ذلك الزخم الفقهي المتفشي في الخطاب الديني حول قضية (الحية) و حديث (اعفوا للحَيِّ وَفُصُوا الشَّارِبَ، وَخَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى) والذي يؤكد استعماله بهذا النحو على فكرة التمييز, واستمر الامعان في رسم الشخصية, فحتى الجلباب عليه ان يكون قصيرا, وهناك ايضا اغطية للرأس مميزة, احدها لشيوخ الازهر واخرى لشيوخ السلفية, وبعد تميز الهيئة فهناك تميز اللغة فيمكنك فقط بسماع لهجة (الشيخ) ان تعرفه دون ان تراه, فهو لا يقول (شكرا) بكيفية الناس ولكن (جزاك الله خيرا) وتعلو نبرة صوته حين يحلف (بالله عليك) او يستعمل متعمدا الفصحى في غير موضعها المعتاد, وحتى الادوات الشخصية كالسواك و العطور الزيتية, استغل النحات كل فرصة ان يرسم صورة يجب ان تبدو مختلفة, ثم دعم استمرار هذه الصورة بحزمة من القضايا الفقهية التي لا ينتهي فيها الجدل بما يتداخل فيه الفرض مع السنة والمستحب مع المكروه يعملون جميعا كأدوات دفاع عن صورة الشخصية التي ينفر المجتمع من تقليدها ويخشى من انتقادها.

فالشيخ لا يخاطب عامة الناس بلغتهم, ورغم ان دوره في الاساس هو دعوي فهو يصر على استعمال الفصحى متخفيا حول دور المدافع عن اللغة متخليا عن دوره الاساسي في الوصول الى عقول الناس, ثم تلاحظ كيف تكون الفوارق بين منبر المسجد في عهود الخلافة الاولى والمنابر التي ظهرت وبقيت حتى اليوم, هو الفارق بين تصميم مدرج الجامعة و منبر الجامع, واختلاف موضع المتلقي في كلاهما, هكذا يبني الفارق النفسي بين الشيخ ومستمعيه.

مررت على احدى الفتاوى على موقع (اسلام ويب) وهو من اشهر المواقع الدينية على الأنترنت وبقسم الفتاوى به الذي سجل عشرات الالاف من الفتاوى, كان هناك سؤال لشاب يسأل عن القول الشهير بان " لحوم العلماء مسمومة" رغم ما يراه الشاب من تلف وترف كثير من شيوخ هذا العصر ليأتي الرد بهذه العبارة.

"...ولذا، ننصحك أخي الفاضل بتغيير هذه النظرة الخاطئة إلى أهل العلم والفضل، ونوصيك بالقرب منهم وسؤالهم والاستفادة منهم، ونذكرك بأن معاداتهم تعتبر محاربة لله تعالى. ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ..."

وترى في هذه العبارة كيف يمكن اولا ان يتم الصاق وصف العلماء بالشيوخ, وهكذا يدخل تحت هذا الوصف طابور لا ينقطع من المتشبهين بالعلماء ممن نحتوا شكلهم كما تقتضي "صورة الشيخ" واخذوا يحدثون الناس بكلام الله ورسوله, ينال (الشيخ) منهم صفة (العالم) متساويا مع

مفكرين وباحثين اضافوا مناهج ومراجع لعلوم الاسلام و كذلك مع حملة الشهادات ومنتجي الرسائل العلمية في علوم الانسانية وذلك فقط على قدر نجاحه في اطالة شعر وجهه وتقصير طول جلابيه واجادته للنبرة الحادة الناطقة للفصحى.

وثانيا ترى التهويل الكارثي الذي يصبه صاحب الفتوى (ناصحا) السائل بلهجة تهديد تصل الى اقصى ما يمكن ان يتحملة الانسان وهو مواجهة ربه, هذا لارتكابه الجريمة التي تفسر بمهاجمة (الشيوخ) وحادّة نقدهم.

هذه العبارة تلخص كثيرا مما يمكن وصفه عن الدرجة الثالثة من الحماية بعد توصيف الشخصية ثم وضع فروقا بينها وبين العامة, يأتي دور المخالب الشرسة التي سوف تخيف من تسول له نفسه التعدي على الصورة او تجاوز الفروق.

ويعد مثل هذا الاسلوب هو بداية تشغيل المرجعية الدينية وتسخير الدين ونصوصه للتسلط على العامة, فيستهدف (الشيخ) اول ما يبدأ النصوص التي سوف تحميه في المستقبل, قبل ان ينتقل الى الآراء والفتاوى التي ستخدّم على النظام الاجتماعي والسياسي الذي يقف خلفه هؤلاء المرتزقة.

وكما بدأنا بالقول فان مثل هذه الحوائط الامنية انما بنيت لحماية ما هو هش, وهو كذلك, هذه المرجعيات التي بعدت عن اصول ديانتها, واستخدمها لرجال فسدت نفوسهم وضعفت حجتهم, لكن وان قويت نظم الحماية وكثر العاملين عليها والمتشبعين بخرافاتها فان الحق يظل اقوى وأبقى اذا توفر له اتباع تشبثوا بالإيمان به وتعرفوا على القوة التي يمتلكها الحق والهشاشة التي بني عليها الباطل, واعملوا معاولهم الشابة في تحطيم اسوار الحماية تلك واعادوا صباغة عملية الدعوة رافضين الاعتراف بانتساب رجال الدين الى الرسالة, هؤلاء من سيتجرأوا ويعبروا سياج الخوف ذلك.

هم من سيفتحون الباب أخيرا للأمة جميعا ان تعود الى المرجعية التي تعترز بها وتعزها, الأمة التي سيمكنك ان تحضر فيها يوما خطبة يوم الجمعة مستمعا الى فتاة عشرينية تتحدث عن جزء من رسالتها في تاريخ الدولة الاسلامية.

(30)

أفراح وثنية

" و اتفقنا نضلنا هيك بلا أدوار و طنطنات

بلا كرفات و صبحيات

بلا ملايين

بلا فساتين "

مشروع ليلي

لا تقلق فلم اكتب هذا لكي اقدر عليك رغبتك في الاحتفال, او لأكرر عليك حديث مستهلك عن تكاليف الافراح الباهظة بدون داع. دعنا هنا نطرح قضية الافراح من منظور مختلف, فلنتناقش اذن في اصل الفكرة وكيف نشأت, لتتخيل كيف كانت عقلية صناع هذا الصنم الاجتماعي, فلنحاول

معا ان نكتشف كيف كان يفكر هؤلاء القوم فان في فهم هذا الصنم تحديدا فرصة واسعة لمعرفة طرق تفتيت اغلب اصنام مجتمعا الحاكمة.

في البداية نحتاج ان نتفق, ان ليس هناك شيء يحدث من باب المصادفة, كل تلك التفاصيل التي تراها ظاهرة في صورة افراحنا اليوم وقف خلفها قصد ما, هناك من كان يسعى الى هدف فوجد من خلاله وسائل اودت بصورة الافراح لما نراه ونشده اليوم.

لنرجع الاشياء الى منشأها, حاول ان تتخيل الزواج في العصور الماضية والمجتمعات الانسانية البسيطة, كيف كان يحدث الزواج؟, العروسان اقرب او الاهل على علاقة تجارية ما, يعرض الرجل نفسه على اباه, حين توافق عائلة العروس يتبقى لإتمام الزواج; اشهار الامر في المجتمع الصغير المحيط وتجهيز العروسين وبيتهما الجديد, وقتها كان الفرحة هو الضجيج الصادر من منزل العروس بالتحديد قبل مغادرتها بيت أبيها -في زفة- وحتى تصل الى بيت الزوج.

هنا نقطة البداية في عقلية صنم الزواج المعاصر, البداية هي طمس الهدف الرئيسي من العملية الاجتماعية وتحويلها الى طقس -لاحظ من هنا وصاعدا التقارب الواضح بين خطوات عملية التحويل هذه وخطوات التعبد الوثني التي جعلت قبيلة مثل (تقيف) تحول الرجل الصالح "صرمة بن غنم" الذي كان يصنع العجين لحجيج الكعبة الى وثن يعبد شريكا لله (الات) - هل فكرت يوما ان الفرحة هو اداة تستخدم لكي يعلم الناس ان "فلانا" تزوج من "علانه"؟, اذكر اني ذهبت الى افراح وجئت منها ولم اعرف اصلا ما اسم العروسين وما شكلهما من ضوضاء الحدث ومما اغرقا فيه من معاجين. تم طمس الهدف الحقيقي واصبح الامر هو اقامة حدث مادي ما يحده مكان وزمان وله وصف (الحجر الذي كان يجلس عليه الات).

الخطوة التالية, كانت البناء المتصاعد المبالغ فيه لقيمة هذا الحدث وأهميته, يبدأ الامر بالطرفين الرئيسيين في العملية, الزوج والزوجة, فيبتدع اذن الفصل بين (كتب الكتاب) و (الدخلة) كحدثين يمكن ان يفترقا ليخلقا حقبة زمنية عجيبة يتخللها علاقة غريبة بين الرجل وزوجته تنتظر الحدث المكمل. وهكذا يصمم حدث كامل جديد يحمل صفة عقد القران, ويتم تعقيد تركيبه ليشمل عملية اجتماعية ودينية وقانونية في نفس ذات الوقت كان اصلها (شرعا وعرفا) كلمات موافقة بين الرجل و ولي عروسه لتتحول الى... قاعة و (مأذون) و دعوات و حضور و أوراق و اشياء اخرى كثيرة يجب ان تتضمن (شكولاتة وحاجة ساعة). بنفس الطريقة التي اعطى بها (عمر بن لحي)-مخترع صنم(الات)- قيمة لحجر بسيط اغدق عليه تفاصيل متشعبة في موضعه وزينته وأهمية صاحبه حتى عبده قومه.

ويتهياً بهذا الشكل الوضع للحدث الاساسي (الفرحة) الذي تم ربط طرفي العملية الرئيسيين به فهو مفتاح (الدخلة) التي تعلق بحلمها الفسيولوجي العميق.

لكن لا يكفي الارتباط النفسي للعروسين بال(فرحة) او الارتباط الثقافي لأجيال الشباب صاحبة الحلم الفسيولوجي الانساني الاكبر, انما يجب ان يرتبط باقي اطراف الحدث به ليأتي الدور على الأهل وهنا تستعمل ادوات الاستعراض الطبقي بكل فنونها, فهناك مكان سيعقد فيه (الفرحة) وهناك مدعين, وهناك طعام سيعد, وهناك (فستان) للابنة و(بدلة) للابن, ويا لها من فرصة لشيطان يعبث بمرض التعالي الاجتماعي ليوسوس في عقول العائلتين عن الهيئة التي يجب ان تظهر فيها كل هذه التفاصيل, بالتأكيد نفس الشيطان لم يجد صعوبة في اقناع (غطفان) بان يتخذوا من (العزى) الهة ليمتلخوا حرما يباروا قريش به اجتماعيا.

توقع ان مبتكري الوثنية واجهوا تحدي لإقناع مجتمعهم بان هذه التماثيل التي اعلوا من شأنها كثيرا ممكن ان ترتقي لتصبح الهه, لم يكن الامر سهلا, نعم قد قطعوا شوطا كبيرا حتى يصبغوا التماثيل بقدر من التقدير والتمجيد فالتقديس,.... لكن الشركية! هذه تحتاج الى مدخل مختلف.

الفرح الان قد تعقدت تفاصيله كحدث وارتبط بحاجات نفسية وفسولوجية اصيلة لدى افراده الاساسين, مازال الامر يحتاج الى غلاف اشمل ليدخل في الصورة باقي عناصر المجتمع غير الاهل والعروسين وتحكم العقدة عليهم جميعا, لحظة!, "ال.ل.ف.ر.ح".

كيف نسينا هذا؟! ان هذا الحدث يفترض ان يرتبط اسمه ومحتواه بالشعور بالفرحة والسعادة, فالفرح هو الزمان والمكان الذي نمارس فيه شعور الفرحة, هذا هو المدخل اذن, وكما استطاع دعاة الوثنية ان يقنعوا اقوامهم ان التعبد للتماثيل ".. ليقربونا الى الله زلفى" وبنفس الحجة المنحرفة فان فقرات افراحنا المعاصرة هي التي ستقربنا الى شعور الفرح.

منذ متى وهذا المسخ المجتمعي يعبر عن الطريقة التي نجلب بها على انفسنا الفرحة, كيف تم اقناعنا ان كل هذه الوجوه القابعة خلف أقنعة (الماكياج) و(الكرافات) و(فساتين السهرة) تمارس سعادة حقيقة او ان تلك الايدي المتشابكة على طاولة (البوفية) تشعر بالرضاء, حدثني عن شعور "الفرحة" الحقيقي الذي تجده في نهاية ليلة فرح تحضره, وعن كلام الفرحة الذي تنبأ عنه احاديث النميمة النسائية اثناء وبعد كل فرح, كم رجل مصري يصطحب زوجته ل"ديسكو" كي يرقصا امام الناس طلبا لفرحة! , كم سيدة تشعر بسعادة تحت اضواء قاعة ازدمت بالمتلونات من عجيب البشر احدهن اجمل منها. هل تشعرون حقا ايها الناس بالسعادة!!

هذا هو الصنم الذي صنعناه, عقدنا الخطوات والعمليات بتفاصيل ابتدعناها ما انزل الله بها من سلطان, اخرجنا عقدنا الاجتماعية في زينة بددت ثروات كانت لتسعد اوجه عرقت كثيرا في سبيلها او تخفف من سيولة اقتصاد امة مهترئ, شوهدنا حتى انقى شعور انساني بالسعادة مختلفين مسخ من مجون لا نألفه, وضاعت في الارجل اصول الاشياء, واستنزفت سعادة البشر وطاقاتهم ومواردهم لخدمة موروث مجتمعي باطل.

اذا كنت تستنكر على قوم ان يعبدوا حجرا, فهل لك ان تستنكر انك ان طرحت على ولي عروسك ان يذر كل ذلك ويرضى ان تأخذ ابنته لبيبتك بعد جلسة عائلية يقبلوك بها ثم تصحبك بعض (الزغاريد) وتحديث لل" Facebook " انك Is married

(31)

الدنيا أظى من الجنة

دعني أقترح عليك انطباع أول اخر غير ما يتولد في ذهنك الان من لعنات وسباب تلقائي للكفرة والملاحدين الذين ملئوا البلاد وأضلوا العباد فلتعتبرها هذه المرة محاولة قد تستحق فرصة, لعلها ليست هرطقة أخرى أو من الممكن ان تفاجئك المقالة في نهايتها بنصيحة أو وعظ ديني ما !
الجنة, ذلك المخلوق الاستثنائي الذي ورتناه وعرفناه و نشأ في موضع مميز جدا في قلب وعقل طفولتنا,

ارتباطنا بالجنة (وقريبتها النار) لم يكن كأى شيء اخر, كتب أسمها في صفحات البداية لعقولنا الوليدة بخط عريض واحتلت فراغا واسعا بعمق غائر لا يسهل اذالته او تعديله او تقليصه بسهولة من باطن عقلا الناضج حتى بعد سنين.

الجنة حيث النهايات القصوى لكل شيء, منتهى المكافأة هي الجنة , منتهى الخير الى الجنة, منتهى لقاء جميع الطبيين في الجنة, منتهى لذة المنظر والبطن والفرج في الجنة, منتهى السعادة الطاغية على كل مرّ وحزن الدنيا في الجنة كذلك , والجنة فقط !

بشكل لا واعى, ارتبطنا اجباريا بالجنة في علاقة أرغما على تشربها من ابائنا ومجتمعنا المسلم, هي علاقة أعمق وأبقى من علاقة أمان أمك, او رهبة عصى أستاذك, أو هيبية شيخ الجامع, هي بالفعل كذلك فالجنة اصبحت متلازمة لقيمة أعمق من الامن والخوف والتقدير, اصبحت الجنة التعبير الأكمل عن الرغبة والهدف من الحياة.

وعلى النقيض, ولكي يكتمل تعلقنا بالجنة, لزم الأمر احداث تغذية مضادة, تقبح من الدنيا, التي اصبحت بديلا لغويا اكثر شيوعا عن كلمة "الحياة", هي التي تحمل في معناها انحطاطا في القدر, أضيف اليها وصمات الكراهية والتحقير والتصغير, فهي الملعونة التي يتصارع عليها الطالحون ويتكالب على متاعها التافه الطامعون, يتصارعون على فتاتها في خسة ونهم ولا ينالوا منها الا الخسارة.

هذه اذن الصورة القبيحة التي ستضطر الى تبنيها عن الدنيا, سيكون عليك ان تستشعر بمرارة وانت تتذوق الحلوى التي تعشقها, وتستحقر الاهتمام باللعبة الالكترونية التي شغلت يومك, و تستنقب شعر الفتاة الذهبي المكشوف أمامك, فجميعها من منتجات الدنيا, نقيضة الجنة, التي لا بديل لعقلك المنتمي لهذا المكان وهذا الدين الا ان يكرهها.

لن تشعر بوجود صراع حقيقي لفترة كبيرة في حياتك بين الجنة والدنيا, فلسنين طويلة – قد تطول لأخر عمرك – سيظل السياج الديني والاجتماعي حول الجنة صلبا, وكذلك تفاعلك البائس مع الحياة سيضفي على الدنيا مزيد من القبح في ذهنك, لكن يوما ما سيأتي بك العمر على مرحلة يخف فيها ضغط الدين والمجتمع, وتبدأ في امتلاك بعض الجرأة عليهما, تتحرر ولو قليلا مما اعتدته في التعامل معهما, سيكون ذلك في نفس الوقت الذي سترى وجها آخر من الدنيا, ستتخلص من حالة البؤس المعتادة, وتتذوق طعما جديدا للحياة.

حينها سيبدأ الصراع, وتعمل المطحنة الفكرية على أشدها, من طرف سيجلب عليك عقلك الباطن وساوس ماضيك الذي تربي وترعرع على حب الجنة وكراهية الدنيا, ويسوق لك أسبابه من أصيل موروثاتك وتعاليمك, ومن الناحية الأخرى ستشددك اللحظة الراهنة التي تشهد فيها الدنيا وزينتها تتمايل أمام عينيك بما لا يدع مجال لأي شك في رغبتك فيها وحبك الحقيقي الأصلي لها.

ومع اشتداد هذا الصراع, سوف تلجأ الى باب قد صمم خصيصا لمن هم في حالتك, باب أحادية الفكر, الذي سيستعمل معك سلاح معنا أو ضدنا ولا يترك لك خيار آخر, سيضعك على حافة الايمان والكفر, الورع والفجر, الاعتزاز والخنوع, طابور من المزدوجات على شريط رفيع تجبر على السير به بلا خيار سوى السقوط في إحدى الاتجاهين, تسير عليه وترى الافتات ترهق عيناك بكلماتها الصريحة : فتنة الدنيا, الجنة خير وأبقى, جناح بعوضة , خالدين فيها , و على قارعة الطابور يافطة عريضة عنوانها " مرحبا بكم في الصراط المستقيم" .

في الواقع, انت من تسببت في ذلك, تذكر انك انت من ذهبت الى هذا الباب و ولجت اليه, لا تقل لي هذه هي الحقيقة, وان الأمر بالفعل كذلك, وان الحياة ما هي الا , لا من فضلك, أرجع الى خط الاحداث, انت ذهبت هناك باختيارك, نعم هذا كان باب وانت دعيت اليه, هذا باب مصنّع وليس طبيعي, الدخول الى الباب هذا بمزدوجاته واختياراته الاجبارية كان دخولا بمحض ارادتك, أنا أكفر بهذا الباب, ولا أراه الزاميا, أنا عن نفسي سأدعوك الى باب آخر, هو أهدى سبيلا.

أدعوك الى التمتع بالدنيا والاقبال عليها, ادعوك الى اكتشاف الدنيا وخيراتها ونعيمها, أدعوك الى كل لحظة سعادة ونشوة تقدر ان تصل اليها, أدعوك ان تترك عجزك وحسرتك وحقدك على من ملكوا الدنيا جانبا, فهي ليست بعيدة بهذا الشكل عن يدك, وهم ليسوا بهذا السوء كي تكرههم, أدعوك ان تحب كل لحظة تعيشها وتبحث عن كل فرصة لحياة طيبة ترضها.

أكشف لك عن حقيقة غائبة, ان ازدواجية الجنة والدنيا غير موجودة, ان دعوتي هذه لا تحمل في طياتها قنينة الخمر ورقصات الغانية و صيحات الكفر والمجون, ان الدنيا والجنة لا يتضادان, بل هما طريق واحد يبدأ من اليوم الذي ستقرر فيه ان تطلب السعادة الابدية ثم لا ينتهي, ان سعادة الدنيا هي اصلا الطريق الى سعادة الآخرة, ان بؤساء الدنيا لن يكونوا من أهل الجنة, ان ما سمعته من قبل عن تناقض رغد عيش الدنيا مع استحقاق الجنة هو محض افتراء روجّه دجالين يتمتعون بتلك الدنيا أكثر منك.

الدنيا دار اختبار نعم, لكن لا احد يمتحن فيما لم يختبره, ان اختبارك للحياة (خبراتك بها) هو الطريقة الوحيدة التي تمر بها من "اختبار الدنيا" ذاك, الشكل الطبيعي الذي خلقت عليه هو ان تعيش الدنيا كما هي, كما خلقت, تتعايش معها بكل تفاصيلها, وبكل ما تقتضيه منك من مشاعر وتفاعلات طبيعية وفطرية , كالسعادة والفرحة والتلذذ والحزن والأسى ايضا, وهكذا نهى دين الاسلام عن الرهينة فهي اكبر افساد لامتحان الدنيا, نعم اختبار الدنيا ان تعيشها بكل هذا الحب والشغف والتمتع دون ان ترتكب أخطاء في حق غيرك ونفسك أكثر مما ينبغي لك.

لو كانت الجنة أحلى من الدنيا, لشرع الانتحار كحل منطقي للإنسانية, أو لما شغل الشيطان والشر أنفسهما بطرد الطبيعيين من الدنيا, لو كانت كذلك لكان قيامك لصلاة الفجر أسهل من ذلك بكثير, ولما تعرف البشرية معصية واحدة, قف عند الحقيقة الجلية, لا أنا ولا أنت ولا هم يرون الجنة أحلى من الدنيا ولهذا نعيش بهذا الشكل, لا معنى من هروبك من هذا.

الدنيا أحلى من الجنة, نعم لمن يعيشون فيها, هذه فرضية الهيه, شأت أم أبييت, فالدنيا في عينك و وجدانك "الدنيوي" هي أحلى من الجنة, اكتمال ايمانك بالله وبدينك هو أكبر دليل على ذلك, الايمان هو ممارسة غيبية, فان كانت الجنة بالفعل أحب اليك من الدنيا فهذا ليس بإيمان لكنه علم يقيني, مثلك مثل من رأى الله أو كشف سر من أسرار الغيب, هذا ليس مؤمن انما هو عالم, انما المؤمنون

هم من عرفوا وذاقوا ان الدنيا أحلى من الجنة ولكنهم أمنوا ان الدنيا ستفنى لكن سعادتهم لن تفنى معها.

" من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"النحل97

*عنوان المقالة ومضمونها مستلهم من السيرة الذاتية ل(أ. خالد البري) المدونة في كتابه الذي يحمل نفس العنوان.

(32)

الرحلة

"وبزهد كل ما في الرحلة من زخرف ومزهدهاش, مادام فيها رمق يتعاش"

مصطفى ابراهيم - مانيفستو

لعلك تتساءل, لماذا هذا الاصرار على رفض قوالب المواريث وقواعد التقاليد, لعلك قد تستنكر كل هذا الرفض والهدم, وتبحث عن مبرر أكثر قوة لهذا العداء الذي تحمله الكلمات لكل ما تربينا عليه من عادات, لعلك تعتقد ان هناك مبالغة ما قد اضيفت الى الموضوع, وان الفرع من الماضي قد تجاوز الحد.

ما هو الهدف الحقيقي الذي تريد هذه الافكار ان توصلنا اليه؟

ما نهاية كل هذا الرفض والانقلاب؟

اقول لك..

ما اعرفه ان الحياة ما هي الا رحلة طويلة, رحلة تكونت من محطات متتالية ومتكررة, كل محطة فيها حياة داخل الحياة, كل محطة فيها زينة تشبع الناظر وتشوق المحروم منها.

لكن المعنى الخفي, ان المحطات نفسها ليست هدف, ان الدنيا كلها ليست هدف, ان الدنيا ومحطاتها في النهاية ستؤول الى فناء, وتتبقى فقط ذاكرة كل تجربة وكل رحلة لإنسان بها.

كل الاهداف التي نضعها في حياتنا سوف تؤول الى لا شيء يوما ما, قد نشهد ذاك اليوم بأعيننا ونحن نرى الوظيفة الواعدة متعبة ومملة, او تكتشفي ان فتى الاحلام ليس رجلا! وتلك لم تكن

احلام, او لا نشهده فتموت وانت تظن ان (القومية العربية) هي بداية "الاستقلال", او تموت معتقدا ان ال100 الف جنيه التي ادخرتها في سنوات الخليج لأطفالك سوف تمكنهم من العيش

الكريم.

لكن حقيقة ما سيبقى, هو الطريق وحده, الطريق الذي قطعته وانت تلاحق اهداف حياتك, سنوات الجامعة الجميلة, الاوقات العصبية مع زملاء العمل, السهر ليلة العمر وانت تضع اللمسات

الاخيرة على شقة العمر قبل الفرح.

هذه هي الحقيقة, ان ما سيبقى للإنسان هو رحلته, والسؤال هنا, هل انت حقا مستمتعا برحلتك؟ , هل تشعر بمعنى الرحلة ام انت منكفئ على وجهك خلف "المحطة" ؟ هل هذا القطار الذي تستقله

هو ما ارتضيته لنفسك؟ هل تعتقد انك اخترت الرحلة او الطريق او الوسيلة او الرفاق؟

هناك اناس يعيشون وذاكرتهم تمتلئ بمواقف كانوا فيها مغفلين, يتذكروها بضحك او ندم, لكن أغلب الناس لا يقبلون او لا يقدرّون على حمل مثل ذلك الكم من تصحيح الاوضاع, والنتيجة ان

المغفلون الذين لم يكتشفوا ضلال حياتهم الا بعد انتهائها كثيرون.

ان رغم كل ما وجدته وستجده من افكار هدامة لأصنام ثقافتنا المصرية,
الا ان في حقيقة الأمر ليست كل تلك "الاصنام" مرفوضة من الاصل, بل ان الاصل في الاشياء
هو الاباحة حتى في المواد الاولية لصناعة الاصنام وما شابهها.
ليس هناك اي مانع ان تمتلك (نيش) يملأ حائط كامل في منزلك, ما دمت متيما بشكله و وظيفته
ليس عيبا ان يكون عندك (كرش بلونة), ان كنت تطرب نفسك ومن حولك بإيقاع تلعبه اصابعك
على سطحه.
يمكنك ان تعمل لعشرين عاما في نفس المكان وتظل مقبولا في هذه الفلسفة غير متبعا لأصنام
المجتمع.

"ساعات بتكون الرحلة هي الهدف" ياسمين يوسف- مترو فاننزيا الحياة
فقط اخشى عليك, ان تضيع الرحلة من يديك, ان تبذل الاعمار ونفيسها خلف اهداف سجننت بين
ضلوعها السرابية, انت تستحق الحياة السعيدة ولا اقل من ذلك, لن ادعوك الى نظريات متمرده
تخلق لك سجنا جديدا, انما الاصل في الامور ان يرد القرار اليك, ان ترفض الموروث ليس لسوء
به وانما لرفضك للمثول القسري, قد ينتهي بك الامر الى اختيار ما اختاره بعض الاجداد, لكن
حتما لا تتكرر التجارب البشرية بالمثل, انما نحن نعيش على سطح التغيير الذي لن يتوقف طالما
فيينا فكر مشتاق للتحرر.

(33)

الصنم: هبل

يعد من اشهر واكبر الاصنام التي عبدتها (قريش) , كان على شكل انسان وله ذراع مكسورة ثم قام العرب بعد ذلك بالحاق ذراع من ذهب اليه ,
 اختلف في اسمه وسبب تسميته كذلك, الا انه يعد من اشهر الاصنام التي استوردت من خارج مكة , وحافظت على الاسم الذي جاءت به.
 كان من بين 360 صنم وجدوا في حرم مكة هو الاعظم بينها, ومن فرط أهميته احتفظت به قريش وحده في جوف الكعبة.
 حرصت (قريش) على استحضاره في حروبها والاستنجاد والتوسل به من اجل النصره واشهر ما يروى عنه هو حادثة في نهاية معركة أحد.
 كان يهيم المسلمون بالانصراف يوم (أحد) فاذا بأبي سفيان -ولم يكن قد اسلم بعد - يعلو صوته قائلاً: أعل هبل، أعل هبل. فقال النبي لعمر: أجه. قال: ما أقول له؟ قال: الله أعلى وأجل. فقال: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي لعمر قل: الله مولانا ولا مولى لكم.

(34)

حريق الجامع الكبير

قصة فوق البيعة

الفصل الأخير (4 / 4)

(قبل يومين)

مساء الليلة الثانية من الحبس.

لم يعلم (ابراهيم) كيف احس بهذا الضعف الذي حل على روحه حين اخذت بعض الدمعات الكسيرة تسبح على وجهه وهو مرتكن بظهره على الحائط متطلعا -على غير عادته- الى الارض, عصفت به افكاره,

انه الشك الذي طالما استعمله ليصل الى الحقائق, الان يهجم عليه بضرارة ليأتي الدور على الحقيقة نفسها تذوق مرارة كأسه, ذلك الاحساس ان معركته في النهاية خسرت, الشك ان لعله اضاع كل شيء بلا ثمن, انه ربما قد بالغ في الامور وحملها اكثر مما تحتمل, هل يمكن ان تكون كتب (المندور) حقا, او بعضا من الحق, لربما هي تصلح فعلا لهؤلاء الناس ولهذا الزمان, قد يكون هو فعلا مفتون بما عاشه من قبل, لعل الامور ابسط من ذلك, الامور كان يمكن ان تعالج بشكل اهدأ.....

قطع فكره صوت خافت يأتي من خلف الجدار, حاول الاستماع اكثر, ليسمع اسمه أتيا من صوتا يعرفه جيدا , قال:

- سارة؟ كيف وصلتني الى هنا؟

- كيف حالك انت ؟ اريد ان اطمنن عليك؟

- انا بخير, لا تقلقي, هل الوضع امن بالخارج, كيف حال الشباب هل تواصلوا معكي؟

- الحراس يعيدون, انا لتوي قادمة من مخيم الشباب, بالفعل جهزوا كل المواد العلمية والاوراق

التي عملنا عليها طوال الفترة الماضية, لقد عرفوا بالخبر وهم مرتبكون, هل كان عليك ان

تخبرهم قبلها؟

- لا, كان على احد ما ان يقوم بهذه المهمة, لم اكن ارى اثرا لما نحضره طالما لم نتخلص من هذه المكتبة, الان وان دفعت انا الثمن فلا يجب عليهم ان يتدخلوا, يجب ان يستمر طريقهم الذي

رسمناه كما هو

-هل تشعر بالخوف؟

-كنت اشعر به, كنت اخاف ان انكسر فتضيع الفكرة التي احملها, لكن الان, لم يعد أمامي غير الامل لأشعر به.

كان ثابت الخطى, عالي الجبهة, يمضي مع الحارسين, يسحبانه بين الجمهور المحتشد الذي استشاط سخطا, واخذوا يقذفونه بالحجارة و القاذورات تشوه وجهه وملابسه وهو يمسح عن وجهه الوسخ الساقط عليه ليظهر نظيفا قدر ما يمكن في أعين الاطفال الذين يطبع ملامحه في اعينهم وهو يمر بين الناس, ويتألم في وقار من حجارة كانت يجب ان تصيبه.

كلما مر على مجموعة هجموا عليه بشكل مختلف, فمنهم من سب والدته, ومنهم من حاول نزع ثيابه, منهم من اكنفى بتحقيره ومنهم من وصفه بالخائن, قليلون اکتفوا بنظرات الاحتقار وكثيرون القوا عليه قاذورات ايديهم. وهو يمضي ويسبق حراسة بخطوة نحو الجرن, وكأنه يريد أكثر منهم.

اقتربوا اكثر من الجرن, حتى دنوا منه وأحسوا بشدة الوهج الخارج منه, هنالك توقف الحارسان, وشهروا أسلحتهم في وجهه, وأمره ان يمشي والا قتلوا, لكنه لم ينتظر أمرهم, فلقد استمر كما كان سائرا يعرف جيدا اين يقصد باتجاه نيرانهم, وبينما هو يقترب ظهرت بين قطرات العرق المتساقطة على وجهه ظلال بعيدة لأشخاص.

هناك ناحية الشرق, جموع من الناس تتحرك في اتجاه الجموع, توقف لحظات ليدرك الموقف, هم شباب كثر حملوا مشاعل منيرة يمشون في تظاهرة عريضة, اخذ ينظر اليهم وقد ابتسم في سعادة. اتاه النداء من الخلف من الحارسين ان يمضي ولا يتوقف والا افاق في لحظة ونظر اليهما غير مكترث و واصل المضي, الى الامام فقط, وتقترب شيئا فشيئا ظلال الشباب المقبلين, ويزداد وهج النيران على بشرته, يتضح صوتهم الان, انهم يهتفون بصوت يرج ارض الساحة كلها, وهو لا يزال سائرا.

بدأت صورته في الغياب بين نيران الجرن, بينما وصل الشباب أطراف الساحة, وانارت مشاعلهم المكان, وصوت هتافهم أسكت الجميع, فهناك شيئا جديدا يجب ان يسمع الان.

تمت,

"وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم
القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين"

سورة العنكبوت (25)

(35)

الحلم المصري

The Egyptian Dream

الدور الارضي في احدى البنايات الصغيرة بمجمع سكني بالقاهرة الجديدة,

يونيو 2030 - مصر

التفت العائلة الصغيرة حول المائدة البسيطة في مطبخ البيت كما اعتادوا, واخذوا يتناولون عشاء
الليلة المميز بحضور الابنة الوحيدة للأبوين السعيدين بجوارها, ومن بين همهمات الحديث عن
الدول المنضمة حديثاً للاتحاد و مغامرات والدتها في الحكومة كأول وزيرة مزدوجة الجنسية, كان
الأب ينظر في ساعته عندما لاحظ مجيء الساعة الثامنة فضغط الزر بجواره ليفتح على الشاشة
اخر نشرة اخبارية لهذا المساء, استعموها سوياً,

بعد التقرير المصور الأخير من القدس, اعتدلت (الأم) قليلاً لتعلق عليه: انا مش فاهمة, اخترتها
ايه مع (المهاويس) دول, ما يسيبوا اللي عايز يبيع ويشترى براحتة, هم مالهم ان العرب اشتروا
قد ايه ولا ان اليهود بيشتروا في مدن تانية, المسألة اقتصادية بحتة, ما كل واحد ادري بمصلحته.
رد (الأب) بهدوء: هي الاحزاب الخيانية ديه هتفضل تتكلم في قضايا كده لحد ما تختفي,
معندهمش اي فكر اقتصادي ولا اجتماعي يسوقوه هيفضلوا يلعبوا على الشرائح الفاضية اللي لسه
بتحب تنبش في اللي فات و خلاص بعد كل اللي حصل.

شاركت (الابنة) في الحوار معهما وهي تساعد اباهما في جمع الصحون من على الطاولة: بس
تفتكر يا (بابا) ان نتائج الحكم في قضية المذبحة بكره مش هيتأثر يعني بأصول قضاة المحكمة
وكده زي ما بيتقال.

رد عليها بثقة واضحة: "الشعب ده تعب قوي عشان يقدر يكون دولة القانون اللي عرفت تجبلهم
حقوقهم وتنتهي صراع 100 سنة دم وخراب, هم اتعلموا الدرس زي ما كل المنطقة اتعلمته
ومفيش رجوع تاني لورا", ثم اضاف وهو يغادر غرفة الطعام: "انا هروح المكتب اخلص شوية
شغل", وتركهما يتحدثان سوياً لفترة.

طرقت الباب (سارة) قبل ان يأذن لها (أباهما) فتجلس الى جواره وقد التفت اليها بكامل وجهه وبدأ
هو الحديث: "قولي يا ست الكل, قاعدة طول الاسبوع بتتحايلي علينا نعزمك على العشاء عشان
نتكلم, احكي كلي اذان صاغية."

بدأها وجهها في الاحمرار قليلاً قبل ان تبدأ "بص يا حاج من غير مقدمات كثيرة" ثم سكتت
لحظات تلتقط انفاسها, "انا و(اسلام) بنفكر نرتبط" ثم اضافت بتلعثم حرج "نرتبط ارتباط جاد
قصدي"

تلقي اباهما الكلام بابتسامته الهادئة العريضة, وسكتت لحظات ليترك لها ان تكمل ولكنها اشارت له بعينها طالبه الرد منه, فقال:

- هو انتوا تعرفوا بعض بقالكم قد ايه كده؟
- سنتين, تقريبا, من اول سنة في الجامعة, والفترة اللي اشتغلنا فيها سوى في المطعم, و السنة الاخيرة بقي بعد ما غيرت برنامج البكالوريوس بتاعي, بقينا بتقابل اكثر في المؤسسة والحزب.
- وانتي رأيك فيه ايه؟
- بشكل عام انا معجبه بشخصيته, من تعاملتي حساه حد عنده خلفية اخلاق وقيم ثابتة انا قبلاها وفيها شبه مني كثير, في الكام سنة اللي فاتت قدر يعمل لنفسه حاجة, استقل ماديا بسرعة, اللي حوايه بيعتمدوا عليه, بي فكر بشكل ايجابي وبيطور نفسه, بيعرف ينجح سواء في دراسته او شغله, اتعرفت على أهله كويس اخر كام شهر ومستريحه ليهم وحساهم شبهنا كثير, المهم انا عايزة اسمع رأيك انت؟
- انا يمكن اتعرفت على والده اكثر منه هو, سمعت عنه كلام كويس في الحزب, احترمت شخصيته لما قابلته, بس محتكتش بيه كويس زيك.
- يعني؟
- بصي, انا مكنتش هنصحك في الاول تتعرفي عليه اكثر لو شايف فيه حاجة غلط, وانا هعتمد اكثر على كلامك أنتي عنه, المهم عندي الخطوة نفسها انتوا شايفينها هتحصل ازاى؟
- هو نقل من شهرين في أوضة تانيه اوسع وفيها مطبخ خاص في مجمع 10 اللي جنب الجامعة ساعتها فاتحني في الموضوع, استقرينا اني انا هنقل معاه وبمرتبني هشارك معاه في ايجاره. ولما اتقبلنا في السفرية بتاعت (كينيا) سوا, قلنا هتبقى فرصة لو كنا مع بعض طول الشهرين دول.
- هتقضوا يعني شهر العسل في (كينيا).
- وماله كله عشان مشروع أفريقيا يهون, غير في اخر الصيف هنروح ماليزيا وياخدني معاه في تدريب الحزب اسبوعين, ونعوض شوية.
- بتفكروا تعملوا حفلة او كده امتي؟
- هو انا كده كده هسيب الاوضة والمجمع بتاعي على اخر الشهر الجاي, فممكن نعلن الموضوع وقتها ونبقى نعمل حفلة عندنا في الشقة بعد ما نخلص امتحانات, ولو فاض معانا قرشين هنعزمكوا يا سيدي على عشوة حلوه.
- لا فيكي الخير, وناوين تسجلوا جواز رسمي دلوقتي ولا ايه؟
- هو احنا مش بنفكر دلوقتي في الاولاد, هنسنتي مش اقل من 5 سنين ولا حاجة, يعني بالنسبة لي على 23 مش قبل كده, فمش شايفين لازمة قوي يعني اننا نستعجل في موضوع التسجيل.
- المهم يا (سارة) أنتي فعلا مقتنعة؟, عملتي استخارة؟, واثقة من اختيارك؟.
- والله يا (بابا) انا حاسه اني مستريحه, جايز اكون مش شايفه كل حاجة, لكن حاسة اننا طريقنا واحد ونقط الاتفاق اكثر بكثير من فرص الاختلاف, ثم انا جايلك ليه يعني, انا مش هوافق غير ما تكون انت مايدني في ده.

- طيب, الخميس الجاي, زي النهارده, عمك (عمر) هيجي يتغدا معنا, كلمي (اسلام) واعزميه نتكلم شوية, بعدين اقلك رأيي النهائي, وربنا يعمل اللي فيه الخير.
- طيب انا هقابله كمان عشر دقائق في محطة الترام, عشان نشوف ماتش مصر سوا, وهبقى اقله, ربنا يخليك ليه يا احلى اب في الدنيا.
- ثم قامت فقبلت وجنة أبيها واحتضنت رأسه في حنان, وخرجت فرحة لتقبل أمها التي استقبلتها على باب الغرفة بسعادة هي الاخرى قبل ان تتجه مسرعة الى باب المنزل وامها خلفها تحذرهما كعادتها " خلي بالك من العربيات, خليكي ماشية في حارة العجل بلاش تهور", ردت عليها بضحكتها المرححة, ثم قالت وهي تهم بالخروج
- اشوفكم على خير يا كتاكيت, ابقوا اسألوا بقى على بنتكوا الوحيدة. ومتنسوش انا بكره محاضرتي في مسجد (الثورة) جنبيكوا
- ودعها ابوها قائلاً: " مع السلامه وابقى حطي على راسك حاجة بلاش مشاكل"
- قبضت حاجبها في مرح واغلقت الباب مودعة "سلام عليكم"
- تابع (الأب) الكتابة حتى شعر بزراعي زوجته يلتفان حوله, وهي تهمس في اذنه سائله:
- ايه الاخبار, وصلت لفين في الكتاب.
- انا وصلت تقريبا لآخر صفحة, عاوز اعرف رأيك كده, تنفع خاتمة كويسة ولا لأ.
- طيب اقراها كده, وانا اقلك رأيي.
- وبدأ يقرأ من الورقة الاخيرة التي سطرها لتوه:
- " وكان سقف طموحنا حينها السماء...
- كنت ترى في الوجوه من حولك ضياء الامل في الغد ...
- صدقنا احلامنا و آمانا أننا نستحق الافضل...
- فنشنا في حاضرنا عن مواطن الجمال والخير...
- فقدسنا الفرحة واحببنا التمتع بالحياة...
- تطلعت العيون الى العالم المفتوح من حولنا, وارادنا مثل عيش السعداء...
- كان الواقع ملئ بموانع الامل, وحوائط النور ومصدات التغيير...
- ولكن جاء الوقت الذي انكشف عنا الغطاء ورأينا زيف الحاضر وهشاشة قشرته المانعة..
- ابصرنا الاصنام التي صنعتها الاجيال السابقة كشفنا عنها اغطية العرف والتقليد والدين
- رفعنا ما قبعت عليه الاصنام من اوهام وتخيلات موروثه خلفتنا عن ركب الحضارة
- وقفنا على رؤوس الاصنام وقمنا بتصفية ما اتانا من الماضي وما استقبلناه من الخارج
- اوقدنا مشاعل التنوير وقبضنا على فؤوس الحرية, فاسقطنا الاصنام عن طريقنا
- كتبنا تعريفات مختلفة للمفاهيم المعتادة, وقبلنا الافكار الجريئة في القضايا المرتابة
- تحرر الجيل من قيود الامس وامتلك طاقة المستقبل ...
- ارواحنا وسواعدنا الفتية عملت بلا كلل لبناء حضارتنا الجديدة...
- وكان حلمنا المصري كما تمنيناه, واصبحنا اخيرا ما نريد."

شكر وتقدير

الا وقد أكملت الكتاب لنهايته فيبدو انه قد اعجبك بالفعل
وجب اذن ان اشكر من ساهموا في ان يكتمل هذا العمل وينشر
في البداية (دار روافد) التي شاركتني بشجاعة أول تجاربي, ثم أصدقائي الذين
شجعونني على استكمال العمل, وبالأخص من ساهموا في المراجعة منهم
دينا صلاح, الشافعي, عبير, المهدي, طلعت, والصديقة الكاتبة الشابة ياسمين يوسف,
ثم أخي الأكبر الذي ساندني حتى انشر هذا العمل بنجاح
وقبل هؤلاء جميعا مجتمعنا المركب الملهم لكل فكرة استثنائية وشبابه الثائر الذي
سيكتب تاريخا جديدا له حتما

يسعدني أن نستكمل النقاش حول مواضيع الحكاية هنا
<https://www.facebook.com/7ekayetsanam>